وصايا جامعة للعروس

وعـــــروسنـا أحلـى الـعـــــرايـس
مـن مـــــثلهـــــا ذات الجـــمـــــال
فـــــتـــــانـة والـقـــــد مـــــايـس
الـــلـــــه عـــلـــــى ذاك الـــدلال
وهـذا حـــبـــيـب الـقـلـب جـــالـس
هـايـم بســـــاعـــــات الـوصـــــال
أشـــــــرقـت يـا بـو طـرف نـاعـس
يـا مـــــــــورد الحـب الـزلال

روى عبد الملك بن عمير القرشي، وهو من رجال القرن الثاني الهجري، وكان من أهل المعرفة والعلم، عن أمامة بنت الحارث، وهي من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل. فقد روى وصيتها لابنتها وهي على أبواب الزواج، بهذه الصيغة الرائعة، الجديرة بأن تكتب بمداد من ذهب.

قال: لما زوّج عوفُ بن محلم الشيباني - وكان سيداً مطاعاً من أشراف العرب في الجاهلية - ابنتَه أم إياس من الحارث

بن عمرو الكندي، فجُهزت وحُضّرت لتُحمل إليه، دخلت عليها أُمها أُمامة لتوصيها، فقالت:

يا بُنيّة! إن الوصية لو تُركت لفضل من الأدب، أو مكرمة في الحسب، لتُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعقل.

أي بُنيّة! لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها وشدّة حاجتها إليه، لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء خُلقن للرجال، كما لهن خُلق الرجال.

أي بُنيّة! إنك قد فارقت الجو الذي منه خرجت، والعُش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك مليكاً، فكوني له أمةً يكن لك عبداً.

احملي عني خصالاً عشراً تكن لك ذخراً وذكراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة؛ فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن السمع والطاعة رضا الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع أنفه، والتعهد لموضع عينه، فلا تقع عينُه على شيء قبيح، ولا يشمُّ أنفه منك إلا أطيب ريح. وإن الكحل أحسنُ الحسن الموجود، والماء أطيبُ الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإرعاء على حشمه وعياله، والاحتفاظ بماله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي يا بنيّة الفرح لديه إذا كان تَرِحاً، والاكتئاب إذا كان فَرِحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة.

واعلمي يا بنية أنك لن تصلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخيرُ لك ويحفظك.

ثم حُملت هذه العروس إلى زوجها، فعظم موقعها عنده، وولدت له الملوك الذين ملكوا بعده.

وواضح أن هذه الوصية جامعة شاملة لكل ما يخطر على البال، مما تحتاج إليه الفتاة في حياتها الزوجية من مكارم الأخلاق، وحسن العشرة، وذكاء التصرف والتعامل، ومن هنا صلحت أن تكون دستوراً لكل فتاة مقبلة على الزواج.

ولكن مع ذلك سأذكر هنا بعض الوصايا المتعلقة بالمرأة إضافة لما سبق:

١ - الأخلاق العالية:

سألتني إحداهن مرة قائلة: أريدك أن تخبرني بإيجاز ما أحب الصفات التي يريدها الرجل في المرأة، فقلت لها: سأوجز لك الإجابة في ثلاث كلمات هي أروع ما في المرأة: حيائها، وذكائها، ووفائها.

إن المرأة عنوان الأدب ونبراس الحشمة، وبستان العاطفة، ومورد الرحمة، وفيوض الرومانسية، لذلك يجب عليها ألا تغفل هذه الجوانب المهمة في حياتها فتتخلق بأكمل الأخلاق وأحسنها، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؛ الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى**». [أخرجه الطبراني (١٩/١٤٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع].

ويقول ﷺ: «**خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**». [أخرجه الطبراني (١/٦٩) وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٣٨)].

٢ - الذوق الرفيع:

المرأة ريحانة الحياة، وأريج الدنيا، وبهجة العمر، وآية الجمال، ولذلك فإن عليها أن تنمي قدراتها الفنية والذوقية،

فتعرف كيف تلفت نظر زوجها، وتتربع على قلبه بفنها وذوقها في ملبسها، في بيتها، فتجعل منه جنة وارفة، وبستاناً جميلاً، تظهر فيه الأناقة، وترتسم على جدرانه الروعة.

الإنسان بطبعه ملول، يملّ حتى النعيم إذا طال، ولذلك فإن بني إسرائيل ملُّوا وتضجروا من الطعام الذي ساقه الله إليهم، مع أنه من ألذ الأطعمة، فقالوا: ﴿**يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**﴾، وهكذا الملل في الإنسان، ولذلك من حكمته تعالى أن جعل كل شيء في هذا الكون متجدداً متنوعاً؛ من ليل ونهار، وشمس وقمر، ونجوم وكواكب، وحر وبرد، وصيف وشتاء، ومطر وصحو، وجبال ووهاد، وبحار وأنهار، وأشجار وثمار، بل تجد بعض النباتات كالورد يتنوع في شكله ورائحته إلى مئات الأنواع، وهكذا التجديد حتى في تكاليف الدين وأنواع العبادات، حتى لا يكون هناك رتابة أو ملل.

ولكن العجب أن تجد بعض البيوت يخيم عليها الملل، وتسكنها الرتابة، فتجد الزوجة قد أصبحت مبرمجة على شكل معين، ولباس محدد، وطبخة مرددة، وأسلوب ممل. إن الواجب على المرأة أن تتفنن وأن تتجدد وتجدد في لباسها، فإن بعضهن عليها قميص واحد منذ الحر ب العالمية الأولى، وغرفة نومها تذكرك بالمقبرة المهجورة، ونوعية الطبخ اشتكت منها القدور، وضاقت بها الصدور، وشرقت النحور، والمكياج واحد، وقصة الشعر واحدة، بل وربما العبارات والكلمات نفسها، حتى لقد

حفظها الزوج كما حفظ أهل القرى خطبة الإمام العثمانية التي كانت مفروضة في يوم الجمعة. ثم تسأل بعد ذلك: لماذا يملها زوجها؟ ولماذا يجفوها؟ ولماذا يبحث عن غيرها؟.

٣ - عدم الانشغال:

مهما يكن الأمر في أكثر الرجال ففيهم الأنانية، وحب الذات، ولذلك على المرأة أن تحرص قدر الإمكان على الاهتمام بالزوج، وعدم الانشغال عنه بالأمور الأخرى - مع أهميتها - كالتربية، وخدمة الأبناء ومطالب المنزل، أو أعباء الوظيفة إن وجدت، فعليها ألا تجعل من كل تلك الأمور مشغلاً لها عن الاهتمام بالزوج، وخصوصاً النواحي العاطفية والجنسية، فإن الرجل أخطر ما يكون إذا لم تلبِ رغباته الجنسية، وأشق ما عليه إذا رأى انصراف الزوجة عنه، ولو كانت في أهم الأمور.

٤ - الذكاء:

من أهم ما تكسب به المرأة زوجها؛ ذكاؤها، وسرعة بديهتها، وخصوصاً فيما يتعلق بحياتها الزوجية، فتكون واعية لبيبة، حبيبة أريبة، تعرف شخصية زوجها، وتفهم رغباته من عينيه، وتحكم على نفسيته من تقاسيم وجهه، فتحسن التعامل مع كل موقف، ومع كل حالة، وعليها إذا ما حذر من أمر، أو نبه على خطأ، أن تجتهد ألا يتكرر مرة أخرى؛ لأن هنالك من ينبه على زوجته أكثر من خمسين مرة ومع ذلك يتكرر الخطأ، وتعاد المخالفة.

على المرأة أن تعرف متى يتطلع زوجها إلى عناقها، أو النوم في أحضانها، فتأتي في الوقت المناسب لتروي الظمأ، وتبرد الغلة، وتقاسمه الغرام، ولتحذر أن تمنعه نفسها إذا أرادها، وهكذا فإن المرأة كلما أحبت زوجها واهتمت به تستطيع أن تفهم شخصيته فتتعامل معه على أساسها، وتجعل ذلك شغلها الشاغل، فالزوج هو كل شيء في حياة المرأة.

يقول أحد الأزواج: (أعترف أن الأمور التي أسهمت في خلق أجواء التوتر والتباعد والملل بيننا تعود إلى عدم قدرة زوجتي على الاستفادة من أخطائها السابقة. الأخطاء التي كانت تمارسها كانت أشبه بأسطوانة متكررة، وأكثر من ذلك أنها لا تتمتع بسرعة البديهة التي تجعلها تفهم - على الطاير - كان إحساسها بليداً إلى درجة لم تعرف فيها متى أكون سعيداً أو حزيناً، ولم تميز يوماً ما يعجبني وما لا يعجبني. تمنيت يوماً أن تفهمني، ولكن دون جدوى، وهذا الأمر لا يتعلق فقط بضرورة معرفتها أي ثوب أحب أن ترتدي، أو أي عطر أفضل أن تضع، أو أي تسريحة يعجبني شكلها بها، بل إن الأمر يتعدى ذلك، فهي لم تستطع التقاط مزاجي أيضاً، وسوء تقديرها لحالاتي العاطفية والزوجية، ولد لدي شعوراً بارداً تجاهها. إنها تفتقد الذكاء الأنثوي الذي تتميز به المرأة، والذي يجعلها جذابة في نظر زوجها).

ويطرح هذا الزوج سؤالاً مهماً بقوله: (كيف تتحول مشاعر الزوج نحو الزوجة إن كانت هذه المرأة تفتقد الصفات الأساسية التي يجب أن تتمتع بها الزوجة من حنان وعاطفة وأنوثة؟).

إن المرأة التي تفتقد المشاعر الدافئة تحول البيت إلى مكان بارد، حتى يصبح هاجساً ثقيلاً على الرجل. فحنان الزوجة هو امتداد طبيعي لمشاعر الأمومة التي تبعث الدفء في قلب الرجل، ولذلك فإن فقدان المرأة للعاطفة يؤدي إلى تباعد الزوجين مع الوقت، وقطع العلاقة مع الأيام، وخاصة إذا كانت الزوجة تهتم بأمورها المنزلية أكثر من اهتمامها بزوجها.

وحول هذا الشيء يصف الزوج الأمر بقوله: (لم أتذكر يوماً أنها أمسكت يدي حناناً، أو قطعت صراخاً ببسمة مرحة كتعبير عن اعتذار، بل أنا الذي كنت دائماً من يبادر إلى تلطيف الأجواء بيننا.

بالإضافة إلى قساوتها في المعاملة، فإنه لا شيء يهمها سوى تنظيف البيت، وباتت العودة إلى المنزل أشبه بشبح لا يطاق. فأنا لا أذكر أنني عدت مرة من عملي إلا ووجدت زوجتي والممسحة في يدها و(المريول) على خصرها، قلت لها ألف مرة بأن الزوج يستسيغ الجلوس مع زوجته على سفرة الغداء، يتجاذبان أطراف الحديث بعيداً عن هموم الأولاد ومشكلات البيت. لكنها دائماً إما مشغولة بتنظيف الأولاد أو بتنظيف البيت. وهي بذلك لم تكن تقيم وزناً للحياة الزوجية

لأن شغلها الشاغل الغسيل والصراخ على الأولاد وعلى الزوج السلام).

وخلص هذا الزوج إلى نتيجة قائلاً: (إن هروب الرجل من المرأة وأسباب بحثه عن سبل للخلاص منها، يعود إلى عدم قيامها بوظيفتها الطبيعية في الحياة. فالرجل لا ينتظر من زوجته أن تبني له بيتاً، ولا أن تقوم بما هو غير مطلوب منها وإنما هو بحاجة إلى عاطفتها قبل أي شيء، والمشكلة أنني شعرت بنقص كبير في حياتي العاطفية معها، ولا سيما أنني نشأت وتربيت في عائلة ترعاها أم حنون وأب هادئ وعاطفي أيضاً، ولذلك فإن حياتي معها كادت أن تؤدي إلى اختلال توازن مشاعري، وبات المنزل بالنسبة إليّ وكأنه أشبه بصحراء لا مطر فيها).

٥ - القناعة:

القناعة كنز لا يفنى، إنها راحة بال، وهدوء نفس، وسعادة روح، وهدوء أعصاب، وأزهار رضا، وعلى المسلم أن يكون قنوعاً مؤمناً راضياً بما قسمه الله له من الحياة.

وإن بعض الأزواج قد تكون أحواله المادية عادية، أو متدنية، فلا يستطيع أن يؤمن بعض كماليات الحياة، فعلى الزوجة التي رضيت بزوجها، ووافقت على شراكته، وأمست في عصمته أن تكيف نفسها على ظروف زوجها وظروفها، فلا يكن

كل همها مجاراة الواقع، ومحاكاة الناس، وتقليد الآخرين، ومنافسة المتنافسين، فإنها إذا رضيت بمعيشتها، وحاولت أن تسعد نفسها، وتسعد زوجها، وفق ما آتاهما الله من قدرات، فتلك هي الزوجة المثالية الموفقة، يقول ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه**» [أخرجه مسلم: ١٠٥٤]، ولكن بعض النساء تظل تلح على زوجها، وتندب حظها، وتكثر طلباتها، وتثقل كاهله بالديون، وتحمله الأعباء، فينعكس ذلك على حياتهما التي تظل تسوء وتسوء إلى أن تنتهي نهاية مزرية، وبدلاً من بعض الشيء يخسران كل شيء، ومن يتق الله يجعل له مخرجا.

٦ - ألا تكون نكدية:

المرأة التي يكثر خصامها، وتتعدد مشكلاتها، وتتزايد طلباتها، وتتنوع خصوماتها، وتتابع شكوكها؛ هي امرأة نكدية، تجعل الزوج يهرب من بيته، ويأنس بغيابه.

وإن إغضاب الزوج واستثارة سخطه، لهو سبب في غضب الله تعالى على المرأة، فهو جنتها ونارها، وطاعته من طاعة ربها، وهو أحق الناس بصحبتهما وحُبها وبرّها.

وإن من نكد الزوجة كثرة التشكي، والسخط، والتذمر من العيش، والضيق بالحياة ،وعدم الرضا بما قدر الله لها. ولذلك فإن إبراهيم عليه السلام حينما زار ابنه إسماعيل عليه السلام فوجد زوجته،

فسألها عن حالهم، فتذمرت وتشكت، وقالت: نحن في شر حال. فأمر ابنه أن يفارقها، فلما زاره في المرة الأخرى وجد زوجته فسأل عن حالها وحال زوجها، فقالت: نحن بخير حال، أمر ابنه أن يحافظ عليها وأن يثبتها في حياته.

يقول أحد الفلاسفة: (إن سعادة الرجل في الزواج تتوقف على مزاج زوجته أكثر من أي شيء آخر، وقد تتمتع الزوجة بفضائل أخرى واضحة، ولكن هذه الفضائل كلها تصبح لا قيمة لها إذا كانت الزوجة سيئة الطباع، حادة المزاج، محبة للنكد والشجار، وكثيرون هم الأزواج الذي تبدد طاقة جهدهم، ويتخلون عن الاستمرار في الكفاح من أجل النجاح؛ لأن زوجاتهم بددن آمالهم، وقتلن طموحهم بالنقد المستمر، والإلحاح على الانتقاص منهم، وإشعارهم بالعجز عن الإنفاق عليهن، ومقارنتهم دائماً بمن هم أعلى دخلاً وأوفر رزقاً، وأكثر مالاً من الأقارب والزملاء والجيران. إن التعاسة الزوجية من النكد تعادل التعاسة الزوجية التي يسببها السفه وقلة الخبرة بأعمال البيت والخيانة الزوجية معاً).

وأجرى الدكتور لويس تيرمان دراسة على أكثر من (١٥٠٠) زواج كانت نتيجتها أن النكد الذي تصنعه الزوجة هو أكبر العوامل التي تقوض صرح السعادة الزوجية.

وأكد معهد (جالوب) بالولايات المتحدة الأمريكية النتيجة نفسها حين استفتى عدداً كبيراً من الأزواج في أسوأ صفة

تتصف بها الزوجة، فأجمعوا على أنها: اصطناع النكد المتمثل في السعي إلى السيطرة على الأزواج بالبحث عن أخطائهم، والشجار المستمر معهم، واستنزاف طاقتهم عن طريق اختلاق أسباب النزاع حتى يسلموا ويرفعوا الراية البيضاء).

٧ - إظهار الإعجاب:

على المرأة أن تبدي إعجابها بزوجها، وافتخارها به، ومكانته في نفسها، وأنه لا يوازيه في نظرها أحد، ولا يساوي منزلته في قلبها بشر، فإن المرأة كما تحب من زوجها أن يمدحها، وأن يحبها، كذلك الزوج يعجبه أن يرى زوجته فخورة به، معجبة بشخصيته، أياً كان وضعه الاجتماعي أو حالته المادية أو شكله أو صورته، طالما أنه مقدر لمكانتها، محترم لها، قائم بحقوقها.

٨ - ألا تضيع حق زوجها بحجة الطاعة:

فهنالك من النساء من تظن أن الإكثار من عبادة الله تعالى - ولو على حساب زوجها أو أهلها - قد يزيدها قرباً من الله سبحانه، وهذا ظن يجدر بكل امرأة متفهمة أن تتنزه عنه؛ لأن الذي أمرها بعبادة الله هو ذاته الذي أمرها بأداء حق الزوج، وذلك هو الله سبحانه وتعالى. وفي هذا المعنى يقول الأصمعي: (رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر، وهي مختضبة وبيدها سُبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا!؟، فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه

ولله و مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له).

فهذه الرواية التي يذكرها الأصمعي تضرب لنا مثلاً رائعاً لامرأة صالحة تملك القدرة على الموازنة بين حقوق الله وحقوق الزوج).

٩ - البعد عن الغيرة الشديدة وكثرة الشكوك:

إن الغيرة من المحب دليل على صدق حبه، وقوة مودته، ولكن المحمود منها هو الغيرة المحمودة المتعقلة، أما الغيرة بمناسبة وغير مناسبة، وكثرة الشكوك، فإنها خطر محدق، ولذلك قال أحد العلماء لابنته قبل زواجها: (إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق).

ويروى أن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصى ابنته فقال: (إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء).

فعلى المرأة أن تشعر زوجها بحبها له وغيرتها عليه، ولكنها الغيرة الراشدة التي لا تناقض الثقة والأمان، وإن هنالك من شياطين الإنس من يحاولون إفساد بعض البيوت بإثارة غيرة أحد الأزواج على صاحبه، وخصوصاً من خلال رسائل الجوالات المجهولة التي تكثر في هذا الزمان، فعلى الزوجة أن تكون واعية حريصة عاقلة، ولو شكت في شيء من أمور زوجها فعليها أن تعالج ذلك بمنتهى الحكمة والأدب.

١٠ - الصبر:

الحياة عموماً لا بد لها من الصبر؛ فالصبر ضياء، وأهله يوفون أجورهم بغير حساب، والله تعالى مع الصابرين، ومن صبر ظفر. إن الحياة بمتاعبها ومشاغلها وأنكادها وآلامها ترهق النفس، وتتعب الفؤاد، وتجرع العنت، والإنسان خلق في كبد، ولكن الصبر هو الضياء الذي يخترق به الإنسان كل ظلمات الحياة ومتاهاتها، وهو الميدان الجليل للأجر والفوز والظفر في الدنيا والآخرة.

ومن أهم الأمور التي تحتاج إلى الصبر أمور المنزل والأسرة والخدمة والتربية، وإن الزوجة بالذات تتعرض لأشق الأمور وأكبر المتاعب، سواء في القيام بواجب الزوجية، أو حقوق المنزل أو التربية والمتابعة والتوجيه، أو ملازمة البيوت، أو الصبر على الحجاب، وأشق من ذلك ما تتعرض له من متاعب الحمل والولادة والطمث والرضاع والسهر والأرق.. وما إلى ذلك، وقد تبتلى الزوجة مع كل ذلك بزوج متاعبه كثيرة، ومتطلباته متعددة، أو معاملته سيئة، وقد تتحمل من هموم الأسرة والتربية الشيء الكثير، ولكن عليها أن تصبر وأن تحتسب الأجر عند الله تعالى، لتكون من الحور العين في أعلى عليين؛ ولذلك فالله تعالى يعطيها أعظم الأجر، ويدخلها من أي أبواب الجنة شاءت إذا صلت فرضها، وصامت شهرها، وحفظت لسانها وعفتها.

ولقد بشّر ﷺ الصابرين والصابرات بشائر عظيمة منها قوله ﷺ: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**». [رواه البخاري: ٥٦٤٢].

وقوله: ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**». [رواه البخاري (٥٣٢٤) ومسلم (٢٥٧٢)].

ويقول ﷺ: «**واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**». [رواه أحمد].

وإنني أسلي المرأة المسلمة بهذا الحديث الجميل الماتع، الذي هو عبارة عن استفسار تقدمت به امرأة عظيمة إلى المصطفى ﷺ، فكانت مثار الإعجاب والإكبار، وجاء أحسن الجواب وأجمل البشارة فقد أتت أسماء بنت يزيد بن السكن - رضي الله عنها - النبي ﷺ فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟!، فالتفت ﷺ إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم**

مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟»، فقالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت**». [أخرجه البيهقي في الشعب: ٦/ ٤٢١].

١١- همسات مضيئة:

وإضافة لما سبق من النصائح والوصايا والفوائد والهدايا، هذه بعض الهمسات المضيئة أذكرها بإيجاز لكل أخت تحب لحياتها الاستقرار والهدوء والنجاح:

- ألا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تخرج متبرجة.
- أن تكون مبتسمة بشوشة الوجه.
- أن تكون شاكرة لزوجها، فهي تشكر الله على نعمة الزوج الذي أعانها على إحصان نفسها، وهي تشكر له جميله ومعروفه، ولا تكون ممن يكفرن العشير.
- ألا ترفع صوتها على زوجها إذا جادلته، بل تناقش بأدب، وتتكلم باحترام.
- ألا تتردد في الاعتراف بالخطأ وتسرع بالاعتراف والاعتذار وتعد بعدم العودة.
- أن تودعه إذا خرج بكلمات محببة إلى نفسه وتبين مدى اهتمامها به وقلقها عليه، وتدعو له وتوصيه بتقوى الله في السر والعلن.

- عند عودته تستقبله بالبشاشة والترحاب والطاعة والتخفيف عنه.
- ألا تسمح للآخرين بالتدخل في حياتها، وأن تحل مشكلاتها مع زوجها بنفسها قدر الإمكان، فإن القضايا الزوجية متى ما تعدّت حدود المنزل فتلك إشارة خطيرة، وبادرة مريرة.
- أن تستشير زوجها في أمورها الخاصة والعامة لتزرع الثقة والاحترام بينهما.

وقبل أن نسدل الستار على هذه اللوحة التي تزينت بأهم الوصايا للعروس نختم ذلك بهذه الوصية المفيدة، حيث يروى أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال لأيوب بن القرية البليغ: ما تقول في التزويج؟ فقال: وجدتُ أسعد الناس في الدنيا، وأقرهم عيناً، وأطيبهم عيشاً، وأبقاهم سروراً، وأرخاهم بالاً، وأثبتهم شباباً؛ من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة. إن ائتمنها زوجها وجدها أمينة، وإن قتر عليها وجدها قانعة، وإن غاب عنها كانت له حافظة، وقد ستر حلمُها جهلها، وزيّن دينُها عقلها، فزوجها ناعم، وجارها سالم، ومملوكها آمن، وصبيها طاهر، فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها، وكاللؤلؤة التي لم تثقب، والمسكة التي لم تفتق. قوّامة صوّامة ضاحكة بسامة، إن أيسرت شكرت، وإن أعسرت صبرت، فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه.

obeikandl.com

وصايا جامعة للعريس

المتأمل في الكتب والمؤلفات والرسائل المتعلقة بموضوع الزواج والأسرة وما إلى ذلك يجد أن المسؤولية الأكبر، واللوم الأكثر، إنما يوجه إلى المرأة دائماً، وكأنها هي المسؤول الأول والأخير في نجاح الزواج من عدمه، وفي استقرار الأسرة من ضياعها، وذلك ليس عدلاً.

ومع إيماننا بأهمية المرأة وعظيم دورها، وكبير أثرها في ذلك، وأنها الركن الأساسي، والمعلَم الأهم في كيان الأسرة، فإن الرجل أيضاً عليه مسؤولياته العظمى، ومهامه الكبرى، فهو الراعي، والرائد، والسيد، والموجه، والربان، والقائد، وصاحب لواء القوامة، وتاج الزعامة، فيجب أن يأخذ حظه من التوجيه والنصح والإرشاد والتذكير بالمسؤولية، والتنوير في العلاقات الزوجية، والتعاملات الأسرية، واللفتات العاطفية.

وإنني من خلال تجربتي الاجتماعية رأيت أن أغلب الخلافات والنزاعات، وقضايا الفراق والطلاق والتفكك الأسري، يكون المتحمل للعبء الأكبر منها هو الرجل، بل حتى

بعض الانحرافات لدى الزوجة أو البنات تجد أن ذلك يعود بشكل أو بآخر إلى الرجل، إما بشدته وصرامته، أو إهماله وتضييعه، أو بخله وشحه، أو تدليله الزائد عن الحد، أو عدم اهتمامه بنفسه، بمظهره، بنظافته، بأناقته، أو عدم اكتراثه لمسائل الجنس، وإشباع الرغبات، وكلمات الحب، وعبارات الشوق، وفنون المعاشرة، ولطيف المداعبة، وحسن الخلق، أو بكثرة غيابه، أو بخيانة الزوجة، أبو بإثارة الشكوك، أو اللامبالاة، وما إلى ذلك من المعايب والمثالب والمتاعب التي تكون في الرجل، فتصبح شرارة لاشتعال نيران الفراق والشقاق والطلاق والانحراف والانجراف والضياع والنزاع والتفكك، وتهاوي صروح الحب، وتحطم حصون الود، وتهدم أركان الأسرة.

ولذلك رأيت هنا أن أوجه بعض الوصايا الموجزة، والهدايا العاطرة، والنصائح الصادقة، والتي هي بمثابة الأنجم المضيئة في سماء الحب، وفضاء الأسرة، يهتدي بها المحبون ويستنير بها السائرون، مع أنها كما أسلفت يشترك فيها الرجل والمرأة:

١ - تقوى الله تعالى:

تقوى الله تعالى واللجوء إليه، وسؤاله دائماً وأبداً التوفيق، فإن الموفق من وفقه الله وأعانه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

٢ - أن يعرف الإنسان هدفه من الحياة:

أن يعرف الإنسان إنسانيته وهدفه في الحياة، ورسالته في الكون، فينطلق على بركة الله، ويدلف إلى بوابته على نور من الله، ويضع يده في يد زوجته للتآزر في مسيرة الحياة الواعدة الراشدة الهادية المهدية، وبسم الله مجريها ومرساها.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، لذلك إذا أضاء هذا المعنى الجميل في نفس الإنسان فإنه ينير له كل دروبه، فحينما يمن عليه ربه بليلة العمر، تسعد بها نفسه، ويشرق بها قلبه؛ لأنه بها يحقق

جزءاً من رسالته في الكون، وإعماره للحياة فهو سيقيم بيتاً مسلماً، ويبني كياناً مؤمناً.

٣ - معرفة معنى الزواج:

أن يعرف المتزوج ماذا يعني له الزواج، فليست المسألة في الزواج مجرد التقاء رجل بامرأة لقضاء الوطر، وإفراغ الشهوة، وتحقيق اللذة، أو لإنجاب الأبناء والبنات.

إن الزواج رباط عظيم، وميثاق غليظ، ومملكة جميلة، تتعانق فيه الأرواح، وتسافر فيه المشاعر، وتلتقي الأفئدة، وتسمو النفوس، وتزكو العقول، وتسكن الضمائر. إنه التقاء يثمر حباً، وسكناً، وتراحماً، وهناءً، وصفاءً، وتعاوناً، ومودة، وترابطاً، وسعادة، وسروراً، ولذة، ونشوة، وعبادة، وطاعة، وهداية، وصلاحاً، وفلاحاً، ونجاحاً، ورضاً.

وعلى الرجل أن يشعر بروعة الزواج وروعة المرأة وروعة دخوله إلى عالمها، ويدلف إلى ذلك بمتعة ورغبة وأريحية، وبذلك يعذب الزواج ويجمل ويطيب.

٤ - تأصيل الحياة الأسرية:

أن يؤصل لحياته الأسرية، ويؤسس لكيانها، ويهتم لرفعة بنيانها. إن الزواج مشروع عظيم، وحدث جليل، وليس أمراً عادياً، أو رحلة عابرة، بل هو محطة فاصلة في تاريخ الإنسان، ولذلك ينبغي وضع الدراسات الواعية الجادة ورسم كل

الخرائط واللوحات التفصيلية لنجاح هذا المشروع، ليقوم على أسس راسخة، وعمد شامخة، يضع الإنسان التصور السليم العاقل المدروس لانبثاقة أسرته، ومسيرة شراكته، حتى تحقق أحسن الأرباح، وتنجو من الخسائر والمخاوف.

٥ - حسن الخلق:

التعود على حسن الخلق، وجميل الطباع، ولطيف المعاملة، فإنها لباب الدين، وروح الإسلام، وحلية المرء، ورفعة القدر، وبريد المحبة، وأساس المودة. إن حسن الخلق يرفع الإنسان في الدنيا، ويعلي مكانته في الآخرة، بل هو الطريق الأقوم لمجاورة الحبيب المصطفى ﷺ في جنات النعيم، فهو القائل: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**» [أخرجه الترمذي (٢٩٨) وحسنه]، والقائل: «**خيركم خيركم لأهله**» [أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه]، وحسن الخلق يرتقي بالمسلم إلى درجة الصائم القائم، وبه يتربع الإنسان على عروش القلوب، ويسكن الأرواح، وتحييه المهج، وتغرد له الضمائر وتأنس به البيوت.. فعليك أن تعود نفسك منذ فجر حياتك العائلية، وإشراقة مسيرتك الزوجية على حسن الخلق، من اللطف واللين والرفق والتواضع والبسمة والصبر والتحمل، وغير ذلك من كريم الصفات وجميل السمات.

يقول ﷺ: «**ألا أخبركم على من تحرم النار؛ على كل هين لين سهل قريب**». [أخرجه الترمذي (٢٤٨٨) وحسنه]، وسئل ﷺ عن

أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**» [أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) وصححه].

٦ - مراعاة حق الزوجة في الوقت:

إعطاء الزوجة حقها من الوقت، فمهما كانت مهامك ومشاغلك، فإن الزوجة تتطلع إلى الجلوس إليك، والحديث معك، ومشاركتك آلامك وآمالك، وسماعك لآمالها وآلامها، وسؤالك عن حالها، وإشعارها بحبك لها وقربك منها. وهذه اللحظات التي سوف تخصصها لها، ثق تماماً أنها زاد معنوي روحي كبير، يترع قلبها رضا، ويملأ حياتها بهجة.

٧ - معرفة معنى القوامة:

القوامة لا تعني التسلط والأوامر والشدة والاستعلاء، وإنما هي بمعنى الرعاية والعناية وحسن السياسة والتشاور والتناصح وبذل الجهد، والنصب والتعب لراحة الأسرة والقيام بشؤونها، وملء حياتها بكل معاني الحنان والرضا والمودة.

٨ - احترام الزوجة:

احترام الزوجة وتقدير مكانتها، وإعطاؤها حقوقها، وإشعارها بكرامتها، وأخذ رأيها، وسماع وجهة نظرها، وعدم التعصب للرأي، فإن من بعض العادات الجاهلية عند بعض الرجال وفي بعض المجتمعات أنهم لا يقيمون للمرأة شأناً، وكأنما هي مخلوق ناقص، بينما نجد أن الله تعالى رفع شأنها،

وأعلى منزلتها، وسمى السور باسمها، وسمع قول التي تجادل نبيه - في زوجها، وكذلك المصطفى - له سجل حافل في العناية بالمرأة والوصية بها والاهتمام بشأنها، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما كنا نعد النساء شيئاً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل).

٩ - الكرم:

وهو من أهم الأمور، وأعظم الواجبات، وأحسن الصفات، وأكمل السمات، فالكريم حبيب الله وحبيب الناس، يستميل النفوس، ويستحوذ على القلوب، وتنسى عيوبه، وتغتفر زلاته، وتحترم آراؤه.. أما البخل فهو صفة ذميمة، وخلة لئيمة، يورث الكره، ويزرع الحقد، ويوغر الصدر. بل لقد مر بي قصص لنساء انحرفن إلى أمور خطيرة ليس لسبب إلا بخل الزوج وشحه المقيت مما ألجأها إلى الحاجة الشديدة التي جعلت منها تبيع كرامتها وتهدر حياءها، ولو كان الزوج فقيراً لرضيت بالأمر، ولكن الذي أثار غضبها ومقتها أن الزوج غني ومقتدر، ويصرف على نفسه وشهواته ومصالحه، بل ويضيّف الضيوف، ويقيم الولائم، ويسافر يمنة ويسرة، فإذا ما التمست منه ولو مبلغاً يسيراً فتح لها عشرين ملفاً للتحقيق تخرج منها مدينة لا دائنة!.

يقول ﷺ: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة، يحتسبها، فهي له صدقة**». [أخرجه البخاري: ٥٥]

ويرغب في النفقة على الزوجة، فقول ﷺ «**دينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**». [أخرجه مسلم: ٩٩٥].

١٠ - تشجيع الإيجابيات والغض عن السلبيات:

فبعض الرجال لا يرى من المرأة إلا أخطاءها، ولا يتنبه إلا لسلبياتها، ولكن أفضالها وأعمالها وإيجابياتها لا تجد فيه ذكراً، ولا تكتسي منه شكراً، والأولى أن يكون الأمر على خلاف ذلك، وإن كثرة ملاحقة المرأة بسلبياتها يورث لديها نوعاً من الكآبة واللامبالاة وعدم الاهتمام، كما أن تشجيعها وشكرها يبث في نفسها الراحة والحب والطمأنينة.

١١ - عدم تكبير التوافه وتضخيمها:

فبعض الرجال - كما قيل في المثل - يجعل من الحبة قبة، فتجده يثور وينفعل على كل صغيرة قبل الكبيرة، والأولى أن يعرض عن توافه الأمور، ويلتمس العذر، ويرتقي بتفكيره، والمرأة خلقت من ضلع، وأعوج ما في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت لتقيمه كسرته.

١٢ - البعد عن كثرة الشكوك:

هنالك فرق بين الحرص والمتابعة العاقلة، والمراقبة الواعية، وبين كثرة الشكوك التي لا يزال الشيطان ينفخ فيها حتى تنفجر لتكون بركاناً يدمر بنيان الأسرة، ويحطم كيان المحبة، والشك في غير محله سرطان قاتل وداء مهلك.

١٣ - الممازحة والمداعبة:

لا شيء أجمل في الحياة من الروح الباسمة، والنفس الضاحكة، والأسارير المتهللة، والوجه المشرق، والمحيا المتلألئ. إنها تملأ الحياة أنساً، والكون طرباً، والأرواح نشوة.

الورد باسم، والزهور باسمة، والأنهار باسمة، والطيور باسمة، والصبح باسم، والبدر باسم، والشمس باسمة، والحب باسم، والدنيا باسمة، كل شيء باسم، كل شيء جميل، كل شيء طروب، الخمائل متمايلة، والأغصان راقصة، والبلابل صداحة، والحدائق جذلى، والفراشات نشوى، والحمائم سكرى.

فلماذا الإنسان عابس، والمرء مكفهر، والبشر مقطبون؟ الرجل كئيب، والمرأة حزينة، والطفل غضوب.

لماذا نجعل الجانب المظلم في الحياة يسرق أفراحنا، ويقتل ابتسامتنا، ويميت جذلنا؟.

لماذا ننظر إلى الليل - مع أنه باسم أيضاً - لماذا ننظر إليه ونتعامى عن ضوء النهار؟ لماذا ندقق في الشوك، ونغفل عن الورود العابقة، والأزهار الفواحة؟.

لماذا نتلمس صوتاً للبوم، ونعيقاً للغراب، ونغلق منافذ السمع عن الطيور الصداحة، والبلابل المغردة، والحمائم الساجعة، والأنهار العازفة؟.

لماذا نتخيل الشر، ونتوقع الردى، ونتخوف الأسى، وننسى الخير المتدفق، والعطاء المتألق، والصفاء المنتشر، والأمل الجميل، والتفاؤل الحسن؟.

إن الأنفس المعتمة، والأرواح المظلمة، لا ترى في الوجود شيئاً جميلاً، تنظر للحياة بمنظار أسود، وتتعامل مع الأيام بتشاؤم أحمق، أما الأنفس الطموحة، والقلوب المشرقة، والأرواح المتفائلة، فإنها تنظر بمنظار جميل، وتتأمل ببصر وردي، وتشتغل بالسرور عن الحزن، وبالأمل عن العلل، وبالفرح عن الترح، وبالضحك عن البكاء، وبالابتسام عن الآلام.. فكن ضاحكاً إذا عبست الأيام، باسماً إن أظلمت الدروب، متفائلاً إن ضاقت السبل.

إن البسمة والانشراح والحب والصبر تجعل من الكوخ الصغير كونا فسيحاً، والمكان الضيق واسعاً، والأحداث المؤلمة محتملة، طمعاً في أجرها وحسن جزائها.

إن الضحك والابتسامة دواء للهموم، ومرهم للأحزان، وتسلية للنفوس، وجمام للأرواح.. إنها كمال وجمال، وروعة وبهاء.. إنها تجدد النشاط، وتبعث الحيوية، وتطرد الملل، وتقضي على الرتابة.

الابتسامة نور يشرق، وضياء يتلألأ، وفجر يبرق، وفأل يلوح، وعطر يفوح، وأمل يتجدد.. فاجعل من بيتك ابتسامة

مشرقة، ومن حياتك الزوجية مرحاً وضيئاً، وضحكاً بريئاً، وسروراً نديا، وجواً بهياً.

والمتأمل في أخلاق المصطفى ﷺ يجدها حياة باسمة ضاحكة بشوشة وذلك لعلمه ﷺ بسحر الابتسامة، وأثر الملاطفة، تقول عائشة - رضي الله عنها -: «**كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس، وألين الناس، ضحاكاً بساماً**» [أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق: ٣٩٧].

ولقد علمنا ﷺ أن ابتسامة المسلم لأخيه المسلم صدقة، ويقول ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**». [أخرجه مسلم: ٢٦٢٦]

ويقول ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**». [أخرجه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٧٢)].

ويقول ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**». [أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٥٥٥)].

ويقول عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: (ما رأيت أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ).

ولقد كتبت في هذا الأمر كلاماً جميلاً موسعاً في كتابي (قصائد ضاحكة) لمن أراد أن يرى هذه الروائع النبوية.

ولقد كان ﷺ وهو إمام البشرية، وهادي الإنسانية، والمشغول بالوحي، والمتعمق في العبادة، والقمة في الخشية، والمكلف بالرسالة، كان مع كل ذلك يمازح أصحابه، ويداعب أزواجه، ويلاطف أهل بيته.

ومما ورد في ذلك:

عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «**تقدّموا**»، فتقدموا، ثم قال لي: «**تعالي حتى أسابقك**». فسابقته، فسبقته فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «**تقدموا**» فتقدموا، ثم قال: «**تعالي حتى أسابقك**». فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: «**هذه بتلك**». [أخرجه أبو داود (٢٥٧٨) وصححه الألباني].

وعنها - رضي الله عنها - تقول: «**أتيت النبي - بحريرة قد طبختها له، فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها: كلي، فأبت، فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الحريرة، فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها، فلطخت وجهي، فضحك النبي ﷺ لها**» [أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤٧٦) وقال محققه: إسناده حسن].

١٤ - المشاركة في الخدمة:

يظن بعض الرجال أنه من العيب مشاركة الأهل، ومساعدة الزوجة في أمور المنزل، وأعباء البيت، وأن الرجل لا شأن له بذلك، وكأنما هي الزوجة والمربية والخادمة والطباخة، وهو مجرد ملك كريم، يجبى إليه ثمرات كل شيء، بينما لن يكون لدى الزوجة أجمل أثراً، ولا أطيب عملاً من مشاركة زوجها لها ولو بأمور يسيرة، أو في فترات معينة. إن لهذا العمل آثاراً نفسية كبيرة، ولذلك كان المصطفى ﷺ يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويكون في مهنة أهله.

١٥ - الحذر من الغضب:

الغضب وما أدراك ما الغضب، رأس المصائب، وشريان المتاعب، وبريد الهلكة. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**» فأعاد عليه ثلاث مرات وهو يقول: «**لا تغضب**» [أخرجه البخاري: ٥٧٦٥].

الغضب جماع الشر، ومصدر الهلاك، آثاره أليمة، ونتائجه وخيمة. دمرت به أسر، ومزقت به بيوت، وقطعت أرحام، بل وأريقت دماء، ولخطورة هذا الأمر وفداحة نتائجه أسرد بإيجاز أهم أسباب تسكين الغضب:

١ - أن يذكر الإنسان الله عز وجل وقدرته عليه. قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾، قال عكرمة: يعني إذا غضبت.

يروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: «**اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت فارض بنصرتي لك فإنها خير من نصرتك لنفسك**».

ويروى أن بعض الملوك كتب كتاباً وأعطاه وزيراً له، وقال: إذا غضبت فناولنيه، وكان فيه: مالك وللغضب إنما أنت بشر، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

ويروى أن أحد الملوك كان إذا غضب ألقي عنده مفاتيح مقابر الملوك فيزول غضبه.

وقال رجل لهارون الرشيد - وقد غضب عليه وكاد أن يعاقبه -: «يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا عفوت عني»، فعفا عنه.

٢ - أن يذكر ما أعده الله من الثواب لمن كظم غيظه وعفا وأصلح: قال تعالى: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى عن المتقين: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

كانت جارية تصب الماء على يدي جعفر الصادق - رحمه الله - فوقع الإبريق من يدها فانتثر الماء عليه، فاشتد غضبه، فقالت له: يا مولاي ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾، قال: كظمت

غيظي، قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: عفوت عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: أنت حرة !! فانظر احترامهم لآيات القرآن وآدابه.

وقال ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء**». [رواه الترمذي: ٢٠٢١].

وقال ﷺ: «**ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل**». [أخرجه أحمد (١٢٨/٢) وصححه محقق المسند].

غضب عمر بن عبد العزيز يوما، فقال له ابنه عبدالملك: يا أمير المؤمنين، مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟!، فقال له: أوما تغضب يا عبدالملك، قال وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر!.

٣ - التعوذ بالله من الشيطان الرجيم: قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة جلوس عنده وأحدهما يسب صاحبه مغضباً، قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». [أخرجه البخاري: ٣١٠٨].

٤ - الوضوء: قال ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» [أبو داود: ٤٧٨٤].

٥ - تغيير الهيئة: قال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**». [أخرجه أبو داود (٤٧٨٢) وصححه ابن حبان].

٦ - السكوت: قال ﷺ: «**علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت**». [أخرجه أحمد (٢٨٣/١) وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧٥)].

٧ - أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم: فكم من إنسان تدمرت حياته، وشقيت أسرته بسبب الغضب، فيغضب الرجل غضباً شديداً فيطلق زوجته، ثم يندم بعد ذلك وقد لا ينفع الندم. يغضب الإنسان غضباً شديداً فيعاقب أبناءه بما يندم عليه، أو يموت منه كمداً.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله ألا تعاقب عند غضبك، وكان - رحمه الله - إذا غضب على أحد يسجنه ثلاثة أيام، ثم يعاقبه حتى لا يعاقبه وهو في سورة غضبه وحدة انفعاله خشية أن يتجاوز الحد في العقاب.

قال أحد الحكماء: إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذل العذر. وقال أحد السلف: ما تكلمت في غضبي قط بما

أندم عليه إذا رضيت. وقال علي ابن أبي طالب: أول الغضب جنون وآخره ندم، وربما كان العطب في الغضب.

وقال بعض الحكماء لابنه: «يا بني لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم» وقال آخر: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار.

١٦ - الحلم واللين والتسامح والعفو:

وهي سمات المسلم الحق، وصفات ا لمؤمن الصدق، وهي قيم وأخلاق لا ينالها إلا العظماء ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

ومن العجيب أن القرآن في حديثه عن العفو حينما كان الحديث عن الأسرة قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [التغابن: ١٤]، فاستخدم كل كلمات التسامح والعفو والصفح لتكثيف الصورة، وللتأكيد والحث على وجوب تمثل هذا الخلق الجميل داخل البيت المسلم حتى لو كان من الأبناء والزوجات خطأ أو مخالفات، وحتى ولو كانت تلك الأسرة ممن يأتي منهم الغرر والعداء والأذى، فكيف إذا كانوا

مغلوبين على أمرهم ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ؟!. أين هم من قوله ﷺ: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**» [أخرجه الترمذي (٢٠١٨) وحسنه]، و«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وحسنه]، ومن قوله ﷺ: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق**» [أخرجه أبو داود (٢٧٩٩) وصححه الألباني]، وكم من الأحاديث العطرة التي تأمر بحسن الخلق على وجه العموم، وفي محيط الأسرة على وجه الخصوص.

إن التسامح والتغاضي والتغافر من العشرة بالمعروف، وله أثره الأكبر في السعادة الأسرية، وأجره الأوفى من رب البرية، يقول ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**». [أخرجه أبو داود (٤٨٠٧) وصححه الألباني].

١٧ - عدم التهديد بالزواج:

فهنالك أزواج لا هم لهم إلا تهديد الزوجة بالزواج عليها، بمناسبة وبغير مناسبة، ويظن بعضهم أن ذلك أسلوب ناجح في حث همتها وكثرة عطائها بتهديد حياتها، ولكنه على العكس من ذلك. إنه أسلوب سخيف، وتهديد ضعيف، لا يزيد المرأة إلا تحطيماً وتعقيداً وخيبة أمل، والأولى أن يرفع معنوياتها ويرتقي بنفسيتها، بإعطائها الأمان، وإشعارها بالحب والحنان.

١٨ - عدم إظهار الإعجاب بالأخريات:

فمن الأمور المحطمة لنفسية الزوجة أن يظل الزوج يتمدح بالنساء، يمتدح فلانة، ويشيد بفلانة، ويذكر من محاسن تلك، ومن جمال هاتيك. إلى غير ذلك، والأولى ألا يأتي ذكر ذلك على لسانه حتى ولو كانت حقاً، وأن يجعل ثناءه وإطراءه لزوجته فقط، والعجيب أن بعضهم يغيظ زوجته بهذا الكلام، وتلك المدائح في الأخريات، بينما هو خلو من كثير من الصفات التي تراها زوجته في غيره ومع ذلك راضية به، محبة له، صابرة عليه.

تشتكي إليّ إحداهن مرة فتقول: زوجي رغم أنه عادي وليس فيه وسامة أو جمال، وهو لا يعتني بنفسه كثيراً، ومع ذلك أحبه وأهتم به وأتجمّل له، وفي يوم من الأيام وأنا في غاية الشوق إليه، وقد لبست له أحسن اللبس، وتطيّبت، وتزيّنت، وكنت أنتظر كلمة ثناء أو إعجاب، فإذا به يفتح على إحدى القنوات ويرى فيها بعض النساء المتبرجات المتصنعات، فيقول لي: (شوفي كيف الحلوات! شوفي الذوق! هاذول الجميلات). تقول: فأصبت بصدمة وخيبة أمل وإحباط، وسقط من عيني كثيراً.

١٩ - التعاون في التربية:

لا شك أن للمرأة الأثر الكبير في تربية أبنائها وبناتها، وأنها هي المحضن الأساس، والمغرس الأول لكل معاني الفضائل

والشمائل، وخصوصاً البنات، والأم هي المدرسة الأولى، والموجهة المثلى، ولكن الأب عليه مسؤولية كبيرة في تربية الأبناء، وهو قدوتهم ومثلهم الأعلى وراعيهم الأهم، وللأسف أن بعض الرجال يلقي بكل أعباء التربية على المرأة، وليس له من دور إلا انتقادها وانتقاد تربيتها وتنقيص جهودها، وإلقاء اللائمة عليها.

إن الأبناء يأخذون من الأم روعة الحنان، وحرارة العاطفة، وجلال الحشمة، وحسن الأدب، ومناهل الرحمة، ورقة الطبع، وسمو المحبة، ويأخذون من الأب العاطفة الصادقة الممزوجة بالعقل والحرص، ويتعلمون منه حسن الخلق، وكرم النفس، وعلو الهمة، وشموخ الأنفة، وحب الخير، وجميل التعامل، وفنون القيادة، وسعة الصدر، ووفرة الحلم، وزينة العلم، ودروس الحياة، ورحيق التجارب، ولا يخفى أن الأب والأم يشتركان في كثير مما ذكر من الصفات.

٢٠ - الهدية:

من الأمور التي غفل عنها كثير من الناس - مع أهميتها - وجهلها فئام من البشر - مع ضرورتها - «الهدية» فالهدية تفعل في النفس فعل السحر، وتذهب غوائل الصدر، وتبعث على المحبة، وتعمق المودة، وتقوي العلاقة، وتطرد البغضاء وتزيل الشحناء. هي دليل على سخاء النفس، وطيبة القلب، وروعة الخلق، ونقاء المعدن وحب الخير، وإضمار المودة، وتقوي

الدعائم، وتذهب السخائم. يقول رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**». [أخرجه أبو يعلى (٦١٤٨) وحسنه الألباني في الإرواء: ١٦١٠].

وإن من أهم ما يكسب به الرجل قلب زوجته ويبرهن به على حبها، ويدلل على الاهتمام بها أن يتذكرها بين الفينة والأخرى بالهدايا المناسبة والتحف المحببة، وليس معنى الهدية الإثقال والإرهاق، وأن يتكلف الزوج فوق طاقته. إن قيمة الهدية عند المرأة ليست في ثمنها أو ارتفاع سعرها، بل فيما تحمله من معنى جميل، ورسائل صادقة.

إنّ وردة فواحة، أو زهرة خلابة، تقدمها لها تساوي بالنسبة لها شيئاً كبيراً، وتحدث أثراً جميلاً، فعليك ألا تغفل هذا الجانب الجميل من حياتك.

٢١ - إكرام الأهل:

من إكرام الزوجة إكرام أهلها، ومن الإحسان لها الإحسان إليهم، ومن حبها حبهم. إن اهتمام الزوج بوالد زوجته ووالدتها على وجه الخصوص، وبإخوانها وأخواتها وأصهاره عموماً، له في نفسها أطيب الأثر، وأجمل الوقع؛ فهو من جهة يمتن المحبة، ويوثق المودة، ويزرع الفخر للزوجة، ومن جهة يوثق العلاقة بأهلها، ويكسب ودهم وحبهم، فيثمر ذلك في علاقته بزوجته، وبوقوفهم إلى جانبه، وحثهم لابنتهم دائماً على حسن معاملته، وجميل احترامه.

يجب أن يكون والدها والداً لك، ووالدتها والدة لك، وهي كذلك بالنسبة لأهلك. إنك قد أخذت منهم زهرة فؤادهم، وثمرة حياتهم، ونور أيامهم، ولذلك تأثير كبير خصوصاً على الأم، فإذا رأت فيك الحب لها ولابنتها، والإكرام لها ولابنتها، يطيب قلبها، وتهدأ نفسها، وتقاسمك الحب والحنان من أزكى ينابيعه.

٢٢ - التعاون على البر:

مما يلحق بالتعاون على التربية، التعاون على البر بجميع ألوانه، وشتى أفنانه. إن التعاون على البر مطلب بين جميع المسلمين، وكافة المؤمنين، فكيف به داخل البيت الواحد، وبين القلبين المتعانقين. يجب أن يعين الرجل زوجته على الطاعة والمعروف والإحسان والكرم والخير والصدقة والصلاة.. وما إلى ذلك، يجب أن يشجعها على كل معروف، ويشكرها على كل بر، ويدعمها في كل إحسان، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾[المائدة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [سورة العصر].

٢٣ - احذر الكلمات الجارحة:

الزوج العاقل هو الذي يروض نفسه على مكارم الأخلاق وجميل الألفاظ، وزكي المباني، وشذي المعاني، فيترفع عن ألفاظ السباب، ويتنزه عن كلمات الشتائم؛ لأن تلك صفة المسلم الحق، كما أخبر ﷺ، فهو ليس بالطعان ولا اللعان ولا

الفاحش البذيء، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، تلك سمة المؤمن مع كل أحد، فكيف به مع أهل بيته! بل مع شريكة عمره؟. وإن مما يؤسف له أن بعض الأزواج قد انثنى لسانه، واعوج بيانه، فهو لا يتردد عند أول غضبة أو غلطة أن يسل سيف ألفاظه الجارح الذي يدمي القلب ويمزق شرايين الفؤاد، وقد يرضى بعد ذلك وقد يعتذر، ولكن سموم الكلام الجارح قل أن يذهب أثرها، فكيف إذا كانت تلك السموم تُتجرع كل يوم، فعوّد نفسك سمو اللفظ، ورقي التوجيه، وعذب الكلام، ووارف العتاب.

٢٤ - قدم ملاحظاتك في لطف:

وهذا المعنى تابع لما قبله، والمقصود أنه إذا كانت هنالك ملاحظات على الزوجة، وأمور ترجو تصحيحها، وأخطاء تتمنى ذهابها، فبإمكانك أن تقدم تلك الملاحظات لحبيبتك في باقة من أزهار الكلام الجميل، فما كان اللطف في شيء إلا زانه.

٢٥ - الخادمة قدر الإمكان:

مما عمت به البلوى في هذا الزمن انتشار الخادمات وشدة الحاجة إليهن، والاعتماد عليهن، وإذا كان الزوج لا تسمح ظروفه بتوفير الخادمة فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولا شك أن هنالك بيوتاً لا خدم فيها، ومع ذلك يعيشون من أسعد الناس وأهنئهم، وكم نتج عن الخادمات والخدم من الشرور والمصائب والمتاعب، ولكن مع ذلك نقول: إذا كان الزوج مقتدراً فإن وجود خادمة له أثر

كبير في حياة زوجته وراحتها، ووجود وقت لديها للاهتمام بزوجها وإمتاعه وإيناسه، وحبذا أن تكون هذه الخادمة برفقة محرمها، فإن لم يوجد فليحرص أن تكون متقدمة في السن، وعليه أن يدرس أخلاقها ويتابع تصرفاتها، ويعودها الأدب والحشمة، ويحسن إليها ولا يظلمها، فينتقم الله منه ومن زوجته بسبب ظلمه لإنسانة غريبة منقطعة ما لها إلا الله تعالى.

إن أوضاع الأسر اليوم تختلف عما سبق تماماً، فقد تضاعفت المسؤوليات، وتعددت المطالب، وكثرت المصارف، وثقل كاهل البيوت والمجتمعات بأمور جسام، مما أصبح معه وجود الخادمة يمثل ضرورة كبيرة؛ لأن بعض الناس قد يحتج ويقول: كيف توصي بوجود الخادمة وفي ذلك كذا وكذا من المحاذير؟ ولماذا لا توصي بما أوصى به النبي ﷺ علياً وفاطمة رضي الله عنهما؟ فنقول الخير كل الخير في وصية حبيبنا ﷺ، ولكن هذا الدليل يكون عليك وليس لك. فإذا كانت فاطمة - رضي الله عنها - رغم بساطة الحياة في زمنها وسهولة المعيشة وقلة الأعباء، قد أُرهقت من عمل البيت، وسألت والدها خادماً، فكيف بالمرأة في هذا الزمن الذي تحتاج المرأة معه إلى عشر خادمات وليس إلى خادمة واحدة؟ ولا شك أن السلامة منهن أولى، ولكنها ضرورات الحياة في هذا الزمن، ونسأل الله أن يتوب علينا.

أما الذين لا يستطيعون توفير الخادمة أو الخادم فنوصيهم بوصية المصطفى ﷺ لابنته فاطمة ولزوجها علي -

رضي الله عنهما - فقد جاءت إلى أبيها ﷺ لتشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، فلم تجده، فأخبرت عائشة - رضي الله عنها - بذلك، فلما جاء أخبرته عائشة. قال علي رضي الله عنه: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقول، فقال: «**مكانكما**»، فجاء فقعد بيني وبينها، حتى وجدت برد قدميه على بطني، فقال: «**ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما - أو أويتما إلى فراشكما - فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**». [أخرجه البخاري: ٢٩٤٥].

٢٦ - كن معها في الظروف والمناسبات:

في حياة المرأة ظروف قاسية، ومحطات صعبة، كظروف الحمل والولادة والتربية والمرض والأفراح، وما إلى ذلك، ولكن من هذه المحطات مواقف المرأة تكون فيها بأمس الحاجة إلى زوجها، فوجوده معها وبجانبها ينسيها الهموم، ويخفف عنها الآلام، كحالات الولادة، فمن العجب أن هنالك رجالاً لا يبالون بذلك أبداً، بل قد يستغل تلك الفرصة ليسافر أو ليتنزه أو يهتم ببعض مشاغله في وقت تشرف فيه امرأته على الهلاك، فإن لم يحضر في مثل هذا الظرف فمتى يحضر ومتى يهتم. وكذلك إذا كان لديها مناسبة مهمة حبيبة إلى خاطرها، فعليك أن تشاركها فيها. وخلاصة الأمر أن من كمال الحب وجمال العشرة؛ المشاركة في الأفراح والأتراح.

٢٧ - لا تكثر الغياب والسهر:

إن أهم فرصة للشيطان ووساوسه، والأفكار وضلالها، والنفس وضعفها؛ هو الفراغ، وكثرة غياب الزوج، وللأسف أن بعض الناس حياته خارج البيت أكثر من داخله، وهو بذلك يعرض نفسه وزوجته وبيته إلى مخاطر مخيفة، ومتالف مزعجة، ألا فليتق الله الأزواج في المحبوسات المقصورات في الخيام، وعليك إذا ابتليت ببعض الغياب أن تظل على تواصل معها عبر الهاتف، وأن تسمعها دائماً الكلمات الدافئة، والعبارات الهائمة، وألا تجعلها تشعر بغيابك عنها.

٢٨ - لا تسفه رأيها:

بعض الرجال عندهم كبر وتسلط ومصادرة لآراء المرأة، فهي امرأة ورأيها مرفوض دائماً، وذلك من المساوئ البغيضة. لقد كان رسول الله ﷺ وهو أعظم الناس وأعقلهم وأتقاهم، كان يأخذ في بعض أموره برأي المرأة، وبمشورة الزوجة، مثلما أخذ برأي أم سلمة - رضي الله عنها - في قصة صلح الحديبية، ومثلما كان يوافق ﷺ عائشة إذا هويت الشيء ويسايرها على رأيها إذا استحسنته، فلماذا الازدراء بالمرأة وبآرائها التي ربما تكون أصوب من آرائك بكثير. استمع لكلامها واحترم رأيها، قدر وجهة نظرها، وحتى إذا لم يجد رأيها قبولاً لديك فاعتذر إليها بتلطف بعد أن تشكرها على اهتمامها ومشورتها.

٢٩ - لا تكذب عليها:

عجيب بعض أمر الرجال وخصوصاً الذين يجهلون كثيراً من أمور الدين ولا يحفظون منها إلا أن الرجل يجوز له الكذب على زوجته، والأعجب من ذلك أن يأخذ بظاهر هذا الحديث بعض الذين لديهم علم أو معرفة، فيستمرئ الكذب في كل صغيرة وكبيرة طالما أنه على الزوجة. إن على الكاذب أن يعلم أنه بكذبه يسقط أول ما يسقط من نظر زوجته، ويخف احترامها له، وتصبح لا تثق بأية كلمة منه.

أما من يحاول أن يجعل من الحديث حجة له فعليه أن يحتج أولاً بفعل النبي ﷺ وخلقه، والذي ما أثر عنه كذبة واحدة حتى قبل مبعثه، ولذلك كان يسمى بالصادق الأمين. وثانياً: فليس المقصود بالحديث بطاقة تسهيل للكاذبين، بل المقصود منه أن الرجل أحياناً قد يضطر إلى قول ما يخالف الحقيقة لإصلاح ذات البين، ورأب الصدع، ولم الشمل، أو جبر الخاطر، كأن تقول المرأة: هل تحبني أو تعشقني؟ وقد يكون حبها خفيفاً أو عادياً، فيقول لها: أحبك أعشقك. أو تسأله عن مذاق طعام أعدّته ولم يعجبه، فيثني عليه، ويقول: سلمت يداك، ما هذه الوجبة الرائعة. أو تشتري فستاناً أو تلبس قميصاً وهو عادي جداً، فتسأله عن ذوقها فيه، فيقول: رائع، جميل، فتّان، وهكذا من المجاملات التي تسير بها الحياة الزوجية.

أما أن يسافر الرجل إلى القاهرة أو باريس فتسأله المرأة، فيقول: ذاهب إلى المدينة، اشتقت لحلاوة الطاعة والصلاة في الروضة. أو يسهر مع ثلته فيقول لها: ترى أنا اليوم سهران في الشغل والعمل أتعبني. أو يصرف أمواله في غير طاعة فيدعي أنه يتصدق ويبذل للخير و يتاجر لهم في الشركات، وما إلى ذلك مما يعرفه الرجال ويفهمونه. يجب الصدق والصراحة والوضوح في الحياة الزوجية، ولا يليق الكذب والتمويه والمراوغة والخداع، فتلك سمات التافهين.

تقول لي بعض النساء: أصبحت أحتقر زوجي من كثرة ما يكذب عليّ، ولم أعد أصدقه في شيء، حتى في الكلمات العاطفية والعبارات الغرامية. أتمنى أن يكون صادقاً معي مهما كان الأمر، فهو أهون عندي من الكذب عليّ.

٣٠ - لا تكن في صف أهلك ضدها:

قد يحدث هنالك بعض المشكلات والخلافات بين الزوجة وأهل زوجها، فيجب على الزوج بذل الجهد لتذويب هذه الخلافات وحلها بالحكمة والأسلوب الحسن، ثم إن هنالك بعض الأزواج يكون دائماً في صف أهله. الرأي ما يرون، والصواب ما يقولون، ويقف معهم بالحق والباطل ضد الزوجة، وهذا حيف وظلم، ولا نقول بأن الرجل يعادي أهله ويحاربهم لأجل زوجته، ولكن أيضاً لا يظلم زوجته ويحاربها لأجل أهله، بل عليه أن يتقي الله تعالى، وأن يكون عادلاً منصفاً، والزوجة

بسبب قربها من زوجها وحبها له يستطيع التأثير عليها وإقناعها بما ينفعها بأسلوبه الحسن، وتوجيهه اللطيف.

٣١ - استغل فراغها بما ينفعها:

لا تترك زوجتك للفراغ القاتل، فإن الفراغ داء مهلك، وشبح مخيف. من رحم الفراغ تولد الضلالة، وفي أحضانه تنشأ المعصية، ولذلك عليك بمساعدتها بشَغْلِ وقت فراغها بكل ما من شأنه أن يعينها ويثقفها ويؤانسها، ويترقى بأخلاقها وسلوكياتها.

٣٢ - لا تأخذك العزة بالإثم:

يأنف بعض الرجال إذا أخطأ في حق امرأته أو أساء لها أن يعتذر إليها، ويرى بعضهم أن المرأة هي التي يجب عليها التذلل والاعتذار والمصالحة، حتى ولو كان هو المخطئ، وهذا من الجور وعدم الإنصاف، مع أنني أرى أن الرجل يجب أن يكون الأكثر حلماً ولطفاً وعفواً وتسامحاً، وأنه حتى لو أخطأت المرأة فعليه أن يبادر بالعفو، ويتخلق بالتسامح، ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٥].

٣٣ - لا تنس رسائل الجوال:

من فوائد الجوالات وحسناتها أنها أحياناً تسهم في جذب حبيب، والاعتذار لقريب، وتطييب خاطر، وإصلاح خطأ، ومن أجمل الأشياء لدى الزوجة أن تتزين شاشة جوالها بأحرف من

الشـوق والذوق يبـعث بهـا زوجـهـا، لتكون على القلب برداً وسـلاماً، وتبعث في الروح شوقاً وهياماً، وتملأ الوجدان رضاً وغراماً.

٣٤ - لا تنس المفاجآت الجميلة:

المرأة طيبة، حبيبة، عاطفية، سهلة، رقيقة، تجذبها الكلمة الجميلة، وتستهويها العاطفة الجياشة، ويؤثر فيها الموقف اللطيف، ولذلك من أجمل الأمور إلى نفسها؛ المفاجآت الجميلة، كأن تأتيها بهدية غير متوقعة، أو تأخذها إلى رحلة لم تقترحها، أو تفاجئها ببادرة جميلة، وما إلى ذلك.

٣٥ - لا تجرئها على المعصية:

ما من إنسان إلا وله أخطاء وذنوب وتقصير، ولكنه ليس من المناسب أن يتلبس الإنسان بشيء من ذلك على مرأى ومسمع من زوجته، فإن ذلك يؤثر في نفسيتها، وقد يجرئها على المعصية تشبهاً بك، وتقليداً لك، والأولى أن يستتر الإنسان بستر الله عليه، وألا يكون في عداد المجاهرين.

٣٦ - الرحمة الرحمة:

إن الحياة الزوجية إذا قامت على الحب والرحمة فذلك هو الكمال والجمال وروعة الوصال، ولكن إذا خفتت شموع الحب، وضعفت مناهل الود، فإن هنالك ما يجعل الحياة تستمر على أركان أخرى من الرحمة والتآخي والوفاء، ومراعاة المصالح.

وإن على الزوج أن ينظر إلى اعتبارات كثيرة في زوجته، فإذا كره منها أمراً فهنالك لا محالة أمور أخرى يحبها، فهي تقوم على خدمته، وهي حافظة بيته، ومربية أبنائه، والساعية في رضاه، والصابرة معه، والمطيعة لأهله، وما إلى ذلك.

يقول ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إذا كره منها خلقاً رضي منها آخر**» [أخرجه مسلم: ١٤٦٩]، ولذلك لما هم رجل بطلاق امرأته لأنه لا يحبها استنكر ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً: (أوَ كل البيوت تبنى على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم؟!).

إن الحب ليس كل شيء، فهنالك عوامل كثيرة لكل منها شأن وأثر هام لنجاح الحياة الزوجية، والاندفاع للزواج على غير أساس سوى الحب مخاطرة اجتماعية وشخصية. تقول (إيفيلين مبليس) الكاتبة الأمريكية: (ذلك لأن تقديم الحب والهوى على الإيمان في الزواج يعرض الحياة الزوجية لتقلبات المشاعر وتحولات الأحوال، خاصة بعد العشرة وانكشاف العيوب، ومواجهة العواصف والأزمات).

٣٧ - الدين الدين:

لا خير ولا فلاح ولا رضا ولا سعادة ولا هدوء ولا استقرار إلا في ظلال الدين، وفي أكناف الهدى، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ**

﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

لذلك على المسلم أن يكون ناصحاً لزوجته، صادقاً لحليلته، وأن يقيم نفسه وإياها على هداية الله وشريعته. إن قلب المرأة متى ما عمر بالدين والخوف من رب العالمين فقد رفرفت رايات السعادة والطمأنينة، وقد أصبحت أنت أيها الزوج أعظم الرابحين؛ لأن الثقة وراحة البال ستملأ جوانحك فتطمئن في غيابك وحضورك، وتطمئن على أبنائك وبناتك، وتطمئن على أموالك وأسرارك وتعاملات زوجتك كلها؛ لأنها منطلقة على ما يرضي ربها، ويحب خالقها، فكن عوناً لها على تقوية وازع الدين في نفسها، وذلك عبر وسائل عدة؛ من المناصحة، والتذكير، والتعليم، وجلب المواد النافعة من القنوات الإسلامية، والأشرطة الإيمانية، والكتب الدينية، وما إلى ذلك.

واستمع إلى هذا الحديث القشيب، الذي يملأ النفس روعة وجمالاً، يقول ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» [أخرجه أبو داود (١٣٠٨) وصححه الألباني].

ويقول تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ويقول الرافعي - رحمه الله -: (ومتى ما كان الدين بين كل زوج وزوجته، فمهما اختلفا وتدابرا وتعقدت نفساهما، فإن كل عقدة لا تجيء إلا ومعها طريقة حلها، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وهو اليسر والمساهلة والرحمة والمغفرة ولين القلب وخشية الله، وهو العهد والوفاء والكرم والمؤاخاة الإنسانية، وهو اتساع الذات وارتفاعها فوق كل ما تكون به منحطة أو ضيقة، فحق الرجل المسلم على امرأته المسلمة هو حق من الله، وكذلك حق المرأة المسلمة على زوجها هو حق من الله).

وإن من أعجب العجب أن هنالك أزواجاً يضيق أحدهم بزوجته المتدينة، ويكره ذلك فيها، ولقد مر بي كثير من الحالات انتهت بالطلاق، وذلك بسبب إصرار الزوج على زوجته بأن تتخلى عن دينها وحيائها، فهو لا يريد لها الحجاب، وهو يريد منها أن تتكشف على فلان وفلان من أقاربه وأصحابه، وآخر يريد منها أن تشاهد أفلاماً إباحية، وآخر يريد إجبارها على شرب ما حرم الله أو معاشرتها بما يغضب الله، وتقف المرأة موقف الرفض وتبذل كل ما في وسعها لمناصحة زوجها، وأخيراً إذا أقفلت في وجهها الأبواب تنادي رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من هذا الظالم وعمله، وعوضني خيراً منه يا رب العالمين.

ومن كان كذلك فهو والله الزوج الخاسر التعيس المحروم من الطيبات لأنهن للطيبين فقط.

٣٨ - لا تحرمها من صديقاتها المؤثرات:

لا شك أن على الزوج متابعة زوجته متابعة الحب والحرص والرعاية، لا متابعة التخوين والتشكيك وفقدان الثقة. إن عليه أن يعرف نوعية جليساتها، وأخلاق صديقاتها، وحقيقة علاقاتها، فإذا عرف الفاضلات منهن، الطيبات، الناصحات، ذوات السمعة الطيبة، والأخلاق الراقية، فعليه ألا يحرمها من مسايرتهن، والأنس بهن، وزيارتهن، فلا بد للمرء من جليس، وللنفس من أنيس.

٣٩ - التجمل التجمل:

وهذا مطلب جليل، وأمر عظيم، وصفة مهمة، ولولا خشية الإطالة لنقشت في ذلك صفحات عدة، ولكني أقول: إن من أهم الأمور التي يجب الاهتمام بها، والمحافظة عليها، بل والمبالغة فيها، هو أن يتجمل الإنسان لزوجته، ويتزين لخليلته، فلا ترى منه إلا أحسن اللباس، وأجمل الأناقة، وأبدع الشياكة، ويهتم بنظافة جسده، وحسن هندامه، ورائحة فمه وجسمه. يتطيب بأحسن الطيب، ويتعطر بأزكى العطور.

إن الغريب أن بعض الرجال يظن أن الزينة والتجمل واجبة على المرأة فقط فهو لا يتحمل منها التقصير في ذلك، ثم هو لا يبادلها المشاعر نفسها، ولا يلبي تلك المطالب.

إن ما تطلبه من الزوجة من حب واهتمام وتجمل وتزين، وتطيب، ومشاعر واحترام، فإن عليك مثله، وكما تدين تدان، وكما تحب أن تكون لك يجب أن تكون لها كما تحب، ولذلك يقول تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ** ﴾[البقرة: ٢٢٨].

ولقد كان ﷺ أكثر الناس عناية بهندامه، فكان يلبس أحسن اللباس، ويتطيب بأفضل الطيب، بل كان حتى وهو في معتكفه يطل برأسه لعائشة - رضي الله عنها - لتمشطه وترجله وتطيبه.

٤٠ - اشرح لها شخصيتك:

كي تستقيم حياتك مع زوجتك فإن عليك تذكيرها دائماً بحقيقة شخصيتك وما يعجبك وما لا يعجبك، وما تحب وما تكره، ما يناسبك وما لا يناسبك، ما يريح بالك، وما يستثير غضبك.

وكذلك الشأن بالنسبة لها؛ أن تتعرف على حقيقة شخصيتها وميولها وأهوائها، فإن الزوجين إذا فهم بعضهما شخصية بعض أعانهما ذلك على المضي بحياة هانئة ملؤها التفاهم والتناغم والتواؤم والانسجام.

وإليك هذا الحديث الماتع الذي يجلي لك روعة النبي ﷺ في فهم النفسية والعناية بالمشاعر، تقول عائشة - رضي الله عنها -: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غاضبة**». قالت: فقلت: ومن أين تعرف

ذلك؟ قال: «**أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم**». قالت: أجل - والله - يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. [أخرجه البخاري: ٤٩٣٠].

وإليك هذه القصة الجميلة: سأل الإمام الشعبي - رحمه الله - القاضي شريحاً - رحمه الله - عن حاله في بيته، فقال: (من عشرين عاماً لم أر ما يُغضبني من أهلي. قال له: وكيف ذلك؟ قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً.. قلت في نفسي: فلأتطهر وأصل ركعتين شكراً لله. فلما سلمتُ وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت. ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تُحب فآتيه، وما تكره فأتركه. وقالت: إنه كان لك في قومك من تتزوجه من نسائكم وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك!!.

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموقع. فقلت: أحمد الله وأستعينه، وأصلى على النبي وآله وأسلم، وبعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظّك،

وإن تدعيه يكن حجة عليك.. أحب كذا وكذا.. وأكره كذا وكذا.. وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها. فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري. فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك، فآذن له؟ ومن تكره، فأكره؟. قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة في البيت. قلت: من هي؟ قالت: ختنك - أي أم زوجتك - فالتفتت إليّ وسألتني: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة. قالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها إلا في حالين: إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.. فأدّب ما شئت أن تُؤدب، وهذّب ما شئت أن تهذب. قال شريح: فمكثت معي عشرين عاماً لم أعتب عليها من شيء إلا مرة وكنتُ لها ظالماً!!).

٤١ - لا تأخذ بكلام الغضب:

المرأة قد تغضب لسبب أو لآخر، وقد تنفعل، وأكثر ما يثيرها الغيرة أو الإحساس بالإهمال، وقد تتلفظ في حال غضبها بكلمات مزعجة، وقد تقول كلاماً مؤلماً، مثل: أكرهك، لا أطيقك، أنت كذا وكذا، أو سأفعل كذا، بل قد تطالب بأخطر الأمور مثل الطلاق وغيره من الكلمات الصعبة، ولكن إذا هدأ

غضبهما - وقد يكون بعد لحظات - فإنها تناقض كل ما قالت وتنكر كل ما أعلنت، بل إن كلمة (أكرهك) قد تحمل في ثناياها كلمة: أحبك، أهيم فيك، لذلك على الزوج ألا يأخذ بلحظات الغضب، وكلمات الانفعال، فإذا كانت الشريعة لا تؤاخذ المرء بقوله أو فعله في حال غضبه الشديد، فما بالك بالإنسان المسلم مع من يحب!. يجب أن يتعلم من أخلاق شريعته وسمو منهجه.

٤٢ - فن الجنس:

لا حياء في مسائل الدين، ولا خجل في قضايا الجنس، كيف! وهو أساس كبير في الحياة الزوجية، كيف! وهو فن قد يملأ الحياة الزوجية أنساً، وهناءً، ومتعة، وحباً، وتعلقاً، وتشوقاً، ولهفة، وهياماً، وغراماً، وراحة، وطمأنينة، وقد يكون أحياناً نكداً، وهماً، وغماً، وخصاماً، وكرهاً، وحقداً، وتعاسة، وعذاباً، وذلك إذا أهمل جانبه، أو أسيء فهمه.

إن متعة الرجل في المرأة، ومتعة المرأة في الرجل، بل هي أعظم المتع وألذ الشهوات على وجه الأرض. إنها المتعة التي هفت لها قلوب، وتاقت لها أرواح، وطربت لها مشاعر، بل وذهبت لأجلها نفوس، وطارت رؤوس، وبذلت أموال وصرفت أعمار.

إنه أعظم لقاء بين اثنين، وأعجب اتصال بين قلبين، روحان تمتزجان، وجسدان يتحدان، ومشاعر تتعانق، طرب ونشوة، هيام وصبوة، عقول تتيه، أرواح تسافر، آهات وقبلات،

ضحكات وعبرات، وتنهيدات، لحظات ينتشي فيها النهار، ويضيء الليل، ويطرب المكان، ويتيه الزمان. لحظات كأنما هي الحياة في أجمل متعها، واحتفال بهيج على عزف تتراقص له كل ذرة من ذرات الجسد، وتغني فيه الخلجات غناء يخرج عن كل مألوف، ويترنم بأعذب الحروف.

تصبح فيه الأنفاس لهيب أشواق، والصدور حرارة عناق، يرتمي فيها العاشق في أحضان معشوقه، فينسى كل آلام الحياة وآمالها، ويختصر العمر كله في تلك الدقائق التي يُستلب فيها قلبه، ويُختلب فكره، ويُهيمن على مشاعره. هناك في تلك الرحلة يحقق المحب آماله، ويضع القلب رحاله، ويأخذ الشوق مجاله، ويجني العاشق مناله، فتغرد بلابل الهوى، وتصدح طيور الرضا، وتعبق أزهار اللقاء، وتفوح أطياب الصفاء، وتهدأ المشاعر الثائرة، وتهتدي الأفكار الحائرة، وتفيق الشهوة المجنونة، وتسكن الضمائر المفتونة، فيا لها من لحظات أعجب من العجب، وأطرب من الطرب، وأمتع من المتع، تفوق كل خيال، وتتحدى كل وصف، وتربو على كل بيان، فسبحان الخالق الديان، الذي خلق الإنسان، وأودع فيه الحب والهوى والحنان، فبأي آلاء ربكما تكذبان!.

لقد جاء القرآن الكريم بأعذب الكلمات وأدق التفصيلات في هذه المسألة، وما ذلك إلا لأهميتها، وكبير أثرها، فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والرفث

مقدمات المباشرة، أو المباشرة ذاتها، وكلاهما مقصود هنا ومباح.. ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمسة حانية رفافة، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقاً ونداوة، وتنأى بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته، وتوقظ معنى الستر في تيسير هذه العلاقة.

قال تعالى مبيناً جمال حياة الزوجية: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وهو أبدع تعبير، وأروع وصف، وأبلغ كلام.

وقال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كما أن حديث القرآن عن الحور العين قد جاء حديثاً ماتعاً، ووصفاً رائعاً، يأخذ بمجامع القلوب، ويهز خلجات الأرواح، وما ذلك إلا لعلمه تعالى بحب الإنسان للمرأة، وطربه لها، وأثرها في حياته، وشدة ميله إليها، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٦ - ٥٨].

أما المصطفى ﷺ فقد علم الدنيا كلها فنون الحب الصادق، والشوق العابق، والعاطفة الجياشة، بل ما ترك ﷺ

أمراً من أمور الحياة الخاصة إلا وعلمنا منه علماً، وما كلامنا هنا إلا مجرد إشارات سريعة لروائع الشريعة.

لقد ضرب ﷺ أعظم القدوة للزوج الصالح، ورسم أهم المعالم للحياة الزوجية. علم الرجل أدق المسائل، وأوصى الزوجة بأهم الوصايا، وسوف أورد بعضاً من تلك النصوص دون شرح أو تعليق.

قال ﷺ لجابر رضي الله عنه في أحد أسفاره: «ما يعجلك»، قال: كنت حديث عهد بعرس، قال: «**أبكراً أم ثيباً**» قال: ثيباً، قال: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**» [أخرجه البخاري: ١٩٩١]، وفي رواية قال: «**فأين أنت من العذارى ولِعابها**» [أخرجه مسلم: ٧١٥]، بكسر اللام، ووردت بضم اللام (ولُعابها)، قال بعض العلماء في شرحها: وفيه إشارة إلى مص لسانها، ورشف شفتيها، ويقع ذلك عند الملاعبة والتقبيل.

ويقول ﷺ: «**كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق**» [أخرجه الدارمي (٢٤٠٥) وحسنه محققه].

ويقول ﷺ: «**إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود، فليتوضأ بينهما وضوءاً**» [رواه مسلم: ٣٠٨].

ويقول ﷺ: «**لم ير للمتحابين مثل النكاح**» [أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وصححه الألباني].

وروي عنه ﷺ قوله: «**إذا جامع أحدكم أهله فليصْدُقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها**» [أخرجه أبو يعلى: ٤٢٠١].

لي صاحبٍ متعدي كل الاوصاف
وحبه تحدّى كل حدٍّ ومقياس

أذوب في شوقه وذوقه والالطاف
هواه يسري في عروقي والانفاس

يهتز قلبي كل ماهز الارداف
واتيه في قد رشيق ومياس

وان قام يرقص ويتمايل بالاعطاف
تهيم روحي فيه والفكر يحتاس

رهيب يا ويلي اذا لبس شفاف
أغيب في دنيا بعيده عن الناس

واوقات اخاف ان ينقلوني بالاسعاف
من رجفة بالقلب ولا وجع راس

أمور قمور ادعج العين هداف
حبوب طيوب ابيض القلب حساس

روحه حضاريه مع صدق وعفاف
وله منطق اغلى من الدر والماس

جاوزت في حبي لها حد الاسراف
وخالفت ما قاله علي وابن عباس

يا الله يا منزل تبارك والاعراف
تملا حياتي مع حبيبي بالايناس
واغفر لمن يرجوك يا رب ويخاف
من زلته لكن ما يعرف الياس

إن الرجل والمرأة يستطيعان الصبر على الجوع أو على الفقر أو على متاعب الحياة مهما كانت، ولكن أحدهما لا يستطيع الصبر عن الآخر، ولا يسلو منه أبداً.

لقد أطلت كثيراً في الحديث عن الجنس، مع أن الأمر يحتاج إلى مجلد، وما ذلك إلا لمعرفتي الجازمة بأثره في سعادة الحياة الزوجية من عدمها، وأثره في حفظ الأخلاق وصيانتها، فما الذي نراه اليوم على الشاشات والصفحات والمنتديات؟، أليس كله استثارة للشهوات، وإسعاراً للجنس، وإغراء بالمتعة؟.

وإنه من خلال معالجتي لكثير من القضايا الأسرية رأيت أن من أكثر أسباب الانحراف لدى الجنسين هو عدم الاهتمام بالنواحي العاطفية والجنسية.

إن العواطف الجنسية إذا لم تأخذ حظها الوافي من الري والشبع تتحول إلى سعار مخيف، ونيران حارقة، وسباع ضارية، وجنون مدمر، وسرطان فاتك، ولذلك فإن الثقافة الجنسية الهادفة مطلب أهم، وضرورة ملحة، وفهمهما وتعلمها والعناية بها من شأنه أن يريح النفوس، وينشر الأمان، ويبعث الرضا،

ويمنع المعاصي، ويحد من المشكلات، ويعين على استقرار البيوت.. وإن هنالك رجالاً ونساءً يهملون هذا الجانب، ولا يولونه حقه من العناية، فيكون سبباً في ضياع حياتهم، وتنغيص معيشتهم، أو انحراف أحدهم، بل الغريب في ذلك أن بعضهم يقلل من أهمية الجنس، بل ويغض من شأنه بدعوى التدين، ويرى أنه مشغلة للوقت، وسذاجة في التفكير، ولهو عن العبادة، ومن كان هذا تفكيره فهو بذلك يخالف الدين، ويحارب الفطرة، ويقلل من شأن الشريعة، بل وكأنما يعترض على الله تعالى الذي خلق الخلق، وركب فيهم هذه الصفات، وغرس تلك الغرائز، بل وجعل عليها أجراً وثواباً وكأنما هي طاعة، يقول ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، فيستغرب الصحابة هذا الأمر، فيقولون له: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته فيكون له الأجر، فيقول: «**نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» [أخرجه مسلم: ١٠٠٦].

ويعطي الإسلام الأجر الكبير على اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته، ويعتبر الدين أن ملاعبة المرأة ليست من اللهو، بل هي من الجد المبارك المأجور، وعليك أن تتأمل حياة الأنبياء والعلماء والصالحين على مر العصور لترى دور المرأة في حياتهم وأخبارها في مسيرتهم.

ولذلك فإن على الرجل أن يثقف نفسه ثقافة جنسية واسعة، ولذلك مراجعه ومجالاته التي يستعين بها، وعليه أن

يهتم بإشباع رغبات الزوجة العاطفية حتى لو كانت رغبته الجنسية قليلة، فليستثر مشاعره وأحاسيسه لأجلها، وكذلك الزوجة؛ عليها أن تبذل كل ما في وسعها، وأن تتفنن في الدلال والجمال والإثارة إذا أرادت أن تحافظ على زوجها.

وإن على الزوج إن كانت لديه مشكلات جنسية أن يبادر بعلاجها، وألا يستحي من ذلك أو يتهيب أو يتهاون. عليه أن يبحث عن أفضل المصحات فيلجأ إليها ليعالج أي قصور أو إشكال لديه، ولا حياء ولا خجل ولا غضاضة في ذلك.

٤٣ - لا تفرض عليها رغباتك الخاصة:

بعض الرجال له ذوق معين في الملبس أو المأكل أو المشرب أو طبيعة الجو، وعلى المرأة أن تراعي ميول زوجها قدر الإمكان، ولكن يجب على الرجل أيضاً أن يراعي ميولها ورغباتها، فلا يلزمها بما يلزم به نفسه، وعليه أن يجعل هناك مساحة كافية للحرية الشخصية التي لا تتعارض معه ولا تصادم حريته.

٤٤ - لا تنس الدلع:

أجمل شيء لدى المرأة التدليل فإن ذلك يملأ نفسها رضاً وبهجة وغروراً محموداً حتى لترى أنها كأنما تطير في السماء، أو أنها فراشة جميلة تنتقل على رحيق الأزهار في نشوة وخفة وطرب، فعلى الرجل ألا ينسى هذا الجانب النفسي الجميل،

غـازِلْـها، عـاكِسْـها، لاعـبـهـا، غنّ لهـا، أنشـدها، امـدحـهـا، اثن عليـهـا.. إذا كانت مـعك في السـيـارة ضـاحكها ومـازحـهـا، وإذا كانت معك في غـرفة نومك فـاعط الدلال نصيباً كبيراً، خذها في نزهـة، اعبث بشعـرها، تفنن في لثـمـهـا. اسـبح مـعـهـا في مسبحك الخـاص المحتشم، العب معها أي لعبة تحبها، خذها في رحلة بـحـرية، في نزهة برية في جـولة عـاطفـيـة، قـدم لهـا زهرة، اقطف لها وردة، سـابقـهـا، مـرجـحـهـا، تخل عن صـهـيل الرجـولة العـارم، وعُـد مـعـهـا طفـلاً صغـيـراً بريئـاً يرى الحـيـاة بمنظار خلاب فتان وضيء.

يا سـيـدي يكفـيـك هجـران وصـدود
ارحـم حـبـيـب فـيـك ولهـان باله
وده يقـضي العـمـر وياك ويسـود
عـهـد المنى وتكون دايم قـبـاله
ويعطر ايامـه بسلوان وسـعـود
ويشـرب كـؤوس الحب حـتى الثـمـاله
واسـيـح بك فـالكون ونروح ونعـود
وحـتى العـمل بنهـيـه بالاسـتـقـاله
ويـوم بـأوربـا ويـوم بـهـلـيـود
ويـوم بسـوريـا ويـوم بصـلاله
ورحلات بحـريه وسبـاحـه وسـيـفـود
ونتـأمل امـواجـه ونسـبـر جـلاله

وجـــولات بريه وتطعـــيس ونفـــود
نعـيش فـيـهـا الـبـر نطوي رمـالـه

والشـــاي والنعناع وسـهـود ومـهـود
والـبن والهـــــيل تـفـــــاوح دلالـه

لهـو وغنى وهيـام وركـوع وسـجـود
للـي وقـــانا من الحـــرام بحـــلالـه

وآحط لك قـــصـــر وخـــدام وجنود
وحـــدايق غنّا يمين وشـــمـــالـه

في شـارع كله حـواجـز ومـسـدود
وبوابة كـــبـــرى وهيـــبـــه وهالـه

وفي كل غـــرفـــه ورد وزهور وعـقـود
وصـــور لنا ولوحـات في كل صـالـه

ومـا لك طلب مـرفوض أو راي مـردود
وامـــرك نبـــادر كلنا بامـــتـــثـالـه

والقلب يلقى فـيك مـا كـان منشـود
ويحط عندك يا حـــيـــاتي رحـــالـه

ونعـيش باقي العـمـر في ظل ممدود
من الرضـا والانس ياخـذ مـجـالـه

سـبـحـان من سـواك يا سـيـد الخـود
واصـــبـــحت آيه من دلايل كـمـالـه

obeikandl.com

٤٥ - لا تغضب من نجاحاتها:

هنالك نوع من الرجال يريد للمرأة أن تبقى جاهلة بالدنيا، أو بعيدة عن الحياة، أو قليلة البضاعة في العلم والمعرفة والإبداع لاعتبارات كثيرة، فإذا ما رأى منها نجاحاً أو تقدماً أو ثناءً من الناس عليها، أو اهتماماً بها، يضيق بذلك ذرعاً، ويبدأ يكسر مجاديفها، ويحطم آمالها، ويقف في وجه طموحها دون وجه حق.

٤٦ - لا تبتزها:

قد تكون المرأة موظفة ولها مرتب طيب، ومن الواجب على الزوجة أن تقف مع زوجها وأن تشاركه مطالب الحياة، وخصوصاً إذا كان محتاجاً إلى دعمها، ولكن على الرجل أن يستغني عما في يدها قدر الإمكان، فإن احتاج إلى شيء فبالمعروف والتراضي، على أن يقدر لها ذلك الجميل ويحفظه، ولكن مما يؤسف له أن هنالك رجالاً لا تعرف الزوجة من الوظيفة إلا الدوام والتعب والإرهاق، أما المرتب فهو لجيبه مباشرة، ويأليت ذلك في أمر قد يفيدها ويفيد أولادها، بل قد يكون لضياعه على نفسه وشهواته، والأمرُّ من ذلك أن بعضهم يجمع رواتب زوجته ثم يتزوج به زوجة أخرى، وذلك مظهر من أسوأ مظاهر الظلم والتجني.

٤٧ - لا تظن أن المسألة أموال:

هنالك من الناس من يفهم أن إكرام الزوجة وحبها هو في توفير متطلباتها المعيشية فقط، وذلك أكثر ما يكون في حياة

الأثرياء، فإن بعضهم يظن أن واجب الزوجة عليه أن يهيئ لها القصر الجميل، والسيارة الفارهة، والسائق والخدم، وما إلى ذلك. أما الحياة العاطفية فهي تنتحب، فإذا ما توسلت الزوجة واعترضت أو اشتكت إليه بأن الحياة مملة، والحاجة إليه ملحة، صرخ في وجهها وأرعد وأزبد، مذكراً لها بكل ما وفره لها من سبل الراحة، وأسباب المتعة، ولسان حاله يقول ماذا تريدين مني، اتركيني لنفسي، اتركيني لشهواتي، لأسفاري، لمزاجي، لتجارتي، لاجتماعاتي، فقد وفرت لكِ كل شيء، ويجب أن تقدمي لي كل آيات الشكر والعرفان. فنقول لهذا الصنف - مع الشكر لكل جهودك وكرمك - فإن ذلك كله لا يساوي عند المرأة ساعة حنان، ولحظات حب، وكلمات غرام، ومشاعر شوق. المرأة قلب تواق مرهف حساس، كله مشاعر وحب وحنان، وهو يتوق إلى تلك الأحاسيس، كما يتوق الظمآن إلى الماء البارد، وهي لا تستطيع الحياة بدونها، كما لا يستطيع السمك الحياة خارج الماء، ولذلك فإن أهم أسباب سعادتها هو أن تجعل لها وقتاً كافياً من حياتك، من اهتمامك، من حبك، من حنانك، وإلا أنت بذلك قد تعرضها لأخطر المخاطر، وما أكثر الذين يتصيدون هذا النوع من النساء المحرومات، ليوهموهن بالحب، ويخدعوهن بالعاطفة الكاذبة، ويتباكون عليهن حتى تقع الضحية وتحدث المصيبة، ثم يتركوهن على رصيف الضياع بعد أن يدوسوا بأقدامهم على كل أزهار الحب الخادعة التي تظاهروا بها.

خليل علتــه من صــاحب له ضــيع الميــثــاق
عـديم الذوق والاحسـاس مـا له في الهـوى مله
تمادى في ضــلاله دون دســتــور ولا أخــلاق
وهذي عــادة اللي نظرته للحب مــخــتله
وخله نظرته أســمى من الامــوال والاغــداق
إذا غــاب الهــوى وش عــاد يبي بالمال والفله
يبي صـدق الغـرام وكلمـة حلوه من الأعـمـاق
يبي عطف وحنان وغــيث شــوق يبــرد الغله
على من يا حبيبي تحرق ازهار الشباب احراق
على من تورد الصــدر الحنون الضــيق والعله
ترفق بالقــوام الغض بالوجنات بالأحــداق
بذا القلب الرفـيق بصـوتك الفـتـان بالطله
كفـاك من السـهـر والفكر والتـعـذيب والارهاق
كــفـى ترضى لمن باع الهــوى بالهــون والذله
تنكر للذي مــا قــدر أشــواقك ولا تنســاق
وش اللي يحـوجك والطيب عندك والحلا كله
يغــار الورد من ريحك وذوقك فــتنة الأذواق
ويخـجل من سناك البدر يوم انك شـبـيـه له
دخيلك ريح اعصابك وعش بمشاعرك عملاق
ويكفي يا زكي الروح تعــذيب اســألك بالله

٤٨ - المرأة تريد رجلاً:

من السلبيات المقيتة أن هنالك رجالاً يتراخون ويلينون ويرقون ويضعفون إلى أدنى درجة، فيجعل كل شيء إلى المرأة، وكل شيء برأيها، لا يأمرها بشيء، ولا ينهاها عن شيء، ولا يسألها عن شيء، لا يخاف عليها، ولا يغار، ولا يغضب، وقد يظن بعضهم أنه بذلك قد أصبح قمة في الأخلاق والحب والإكرام وإعطاء الحرية، وإن هذا الصنف أول من يستهين به امرأته نفسها.

إن المرأة حتى وإن أعجبتها طلاقة الحرية وأخذت تصول وتجول كيفما تشاء، فإنها في داخلها ترفض هذا التصرف، وتضج بتلك الحياة. إن المرأة لا يملأ قلبها، ولا يمتلك مشاعرها، ولا يكبر في عينها إلا الزوج الذي تشعر برجولته وشهامته وقوته وغيرته عليها، بل لقد سمعت من كثير من النساء من تقول: أتمنى أن يضربني وأشعر أنه يغار عليّ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فهو في غاية البرود، ولو كان يحبني لغار عليّ، لذلك يجب على الرجل أن يكون عاطفياً في عقل، محباً في حرص، واثقاً في متابعة، ليناً في قوة، هيناً في فتوة.

٤٩ - لا تكلفها مهامك:

من العجب أن بعض الرجال لا يكتفي بتقصيره مع زوجته، وإهماله لحقوقها، وتضييعه لواجباتها، بل يضيف على ذلك أن يتنصل من المهام والمسؤوليات التي هي من اختصاص الرجل، فيريد منها أن تكون امرأة ورجلاً، فهي المسؤولة عن المنزل، والمسؤولة عن الأبناء، والمسؤولة عن متطلبات الزوج التي لا

يسمح بالتقصير فيها، وهي مع ذلك المسؤولة عن متطلبات المنزل، فهي التي تذهب إلى الأسواق، وتشتري الحاجات، وهي التي تراجع المستشفيات، وتتابع المدارس، وتركض بنفسها وراء كل شيء، ومع ذلك فقد لا تجد لذلك تقديراً، بل وقد يتركها الرجل في خضم هذه المتاعب وهو قد يكون مرتمياً في أحضان عروس ناعسة.

٥٠ - كرر ليلة العمر:

وقبل أن نختم هذه الوصايا فإنني أقول لك أخي الحبيب: كرر ليلة العمر، أعد ذكراها، استنشق عبيرها، أحي أخبارها، استمتع بجمالها. إن عليك أن تجعل من ليلة العمر ليالي، ومن ذكرى الحب ذكريات، ومن ساعة المودة ساعات. فبين الفينة والأخرى حاول أن تصحب زوجتك في نزهة جميلة، ثم استأجر لها ليلة في أحد الفنادق، تعيشان فيها لحظات من الصفاء والهناء وتجديد لواعج الشوق والحب والهوى، فإن لم تستطع ذلك، فلا أقل من رحلة برية، أو نزهة بحرية، تعودان بعدها إلى غرفة نومكما، وتضمران النية أن تلك الليلة استعادة لذكريات ليلة العمر، وإنما الأعمال بالنيات.

٥١ - الحب:

املأ حياتك بالحب، واعمر دنياك بالحب، وانظر إلى الكون بالحب، ولقد جعلت الحديث عن الحب خاتمة الوصايا ليكون عطر البداية، وأساس الرواية، وعبير النهاية.

الحب كلمة جميلة المعنى، رائعة المبنى، بديعة الفحوى، جميلة البشرى.. الحب أحرف تنشر الرضا، وتبعث الهوى، وتزين المنى.. الحب كلمة تهز الأرواح، وتسعد النفس، وتطرب المشاعر، وتغرد على عزفها الضمائر.. الحب أغلى من كل غالٍ، وأحلٍ من كل حالي، وأمتع من كل متعة.. إنها كلمة ألذ من الطعام، وأجمل من الشراب.. إنها نغم جميل، وعزف جليل.. الحب نهر يتدفق، وغيث يهمي، وزلال يروي، ودواء يشفي، وعطر يفوح، وأمل يلوح.. إنه الموسيقا الهادئة الهانئة التي إذا عزفت أوتارها في القلب رقصت الروح، وغردت المشاعر، وتمايلت النفس، وتغنى اللسان، وجاد الفكر، وسالت القريحة، وترنمت الخلجات. الحب روح الحياة، ولذة الوجود، وطعم الدنيا، وسكن النفس، وضياء العين، ونور الفؤاد.. حياة بلا حب حياة باهتة، وقلب بلا حب قلب خرب. الحياة جسد، والحب روح، فما قيمة جسد بلا روح، وحياة بلا شوق، ونفس بلا غرام، وضمير بلا وداد.

إننا اليوم بأمس الحاجة إلى العودة الصادقة إلى دوحة الحب، وبستان الود، وينابيع الشوق، وفيوضات الهوى، البيت الذي لا حب فيه بيت كئيب، ومنزل قاتم، وسكن باهت.. والمجتمع الذي لا حب فيه مجتمع مهترئ، وبناء متفكك، وكيان متهدم، والعمل الذي لا حب بين أفراده عمل مزعج، ومكان ممل، ومجال بئيس.

أين بلابل الحب المغردة على أركان الأسر المسلمة؟ أين حب الزوج الذي تفيض أنهاره على زوجته وأبنائه فيجدون برده وسلامه ويستنشقون عبيره وشذاه فيخيم الأمان، وتعبق السكينة، وتحل الراحة؟. أين حب الزوجة لزوجها؟ الحب الذي يشع في روحه فيريح قلبه، ويفعم وجدانه، ويكون زاداً له على القيام بالمسؤولية والنصب للأسرة؟ أين حب الأخ لإخوانه في الله؟ والأخت لأخواتها؟ والقرابة لبعضهم البعض؟ والجيران لجيرانهم؟ والزملاء لبعضهم البعض؟ أين الحب الزكي البعيد عن المطامح والمطامع والخداع والنفعية؟ أين الحب الذي ينشر السعادة، ويبعث الرضا، ويثمر التلاحم والتعاون والتآخي والإيثار والتضحية؟

بل أين الحب العاطفي الغرامي العذري الصافي، الذي يلتزم الأدب، ويحافظ على الحياء، ولا يخدش الحشمة؟.

آهـ من فكر بدنيا الحب تاها
آه ممن ذاب قلبي في هواها
غادة مياسة فتانة
مزقت روح المعنّى مقلتاها
كم سهرت الليل أشكو هجرها
لم يعد للأنس من معنى سواها
تلهب الأحلام أشواقي فما
غفلت عيناي إلا وأراها

تـارة أحـلـم أنـي زرتـهـــــــــا
أبـرد الـغـلـة مـن نـار جـــــــواها

وكـــأني تارة في دفـــئـــهـــا
وأراني مـــــرة قـــبـلـت فـــاها

بسـمـة كـالـفـجـر والحـرف انثنى
هـيـبـــة مما جنتـــه وجنتـــاها

وغـــدا البـــدر إذا مـــا أســـفـــرت
وجـهـهـا والغـصن مـيـاسـاً أخـاها

ليت لي من حـــيـلة في وصلهـــا
يـرتوي الوجـــدان من شـــهـــد لماها

إن الحب فطرة إنسانية، والله تعالى جعل فتنة الرجل في المرأة، وفتنة المرأة في الرجل، وميل كل منهما للآخر ميل فطري غريزي، والدين لا يحارب الحب، كيف وهو قائم على أركان من الحب، وأسس من الشوق، ولكنه يهذبه ويزكيه، ويرتقي به، ويمضي به إلى المسار الصحيح الذي تكون به سعادة المتحابين في الدنيا والآخرة. ﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧].

هذا هو المصطفى ﷺ المشغول بالوحي، والمكلف الرسالة، والمستأنس بجبريل، والمتحمل للأمانة الثقيلة، ومع كل ذلك يعلم الدنيا كلها كيف يكون الحب النقي، والشوق الطهور، والغرام الأسمى، فيهتف بأحلى كلمات الغرام، ويترنم بأروع عبارات

العشق قائلاً: «**حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**».. وكان يداعب امرأته ويمازح نساءه، ويسابق عائشة، ويدير الكأس ليشرب من موضع فمها.

ويعرف ﷺ ما يفعله الحب في قلب المحب، ولذلك ثبت في الحديث قوله: «**لم ير للمتحابين مثل النكاح**» [أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) وصححه الألباني].

إن الأسر حينما تقوم على الحب فإنها تعيش في بستان جميل من الرضا والأنس والبهجة والسلوان. إن الحب أساس من أسس هذا الدين، فالتوحيد حب، والعبادة حب، والسنة حب، والمؤمنون حب، والأخوة حب، والأمة حب، والتمايز بالحب، والدرجات العالية في الجنة بالحب. فأين بلابل الحب المغردة على أركان الأسر؟ وأين أزهار الحب العابقة في قلوب الأهل والأبناء؟.

إن الحب أساس يقوم عليه الدين، فالعبودية هي كمال الحب مع كمال الخضوع، فكيف يكون الحب أساس الدين ولا يكون أساس البيت. إن الحب شرط في كمال الإيمان: «**لا تؤمنوا حتى تحابوا**» [أخرجه مسلم: ٥٤]. فإذا كان هذا بين عموم المؤمنين فكيف به بين أبناء البيت الواحد؟. «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» [أخرجه البخاري: ١٣] فكيف بالأب والأم والأبناء والزوج والزوجة؟. «**المتحابون في جلال الله على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء**

والصديقون والشهداء» [أخرجه الترمذي (٢٣٩٠) وصححه]، فما بالك إذا خلا قلب المسلم وبيته من الحب؟.

إن الحب يثمر العفو والتسامح والصفح والرضا والنظر إلى الحسنات، والغض عن السيئات، وتلمس رضا المحبوب، والحنو عليه، والنصب لراحته. إنه يزكي الأرواح، ويسمو بالقلوب، ويهذب الضمائر، ويرقق المشاعر، ويرهف الأحاسيس، وتلك أمور مطلوب توفرها في كل إنسان، فالمؤمن الذي يحب ربه ويحب كتابه ويحب نبيه عليه أن يفيض أنهار الحب على أهله وبيته وإخوانه وجيرانه ومجتمعه، حتى يكون المجتمع كله مجتمعاً متحاباً متواداً متآخياً، فإن الإسلام هو الأسرة الكبرى، والبيت هو الأسرة الصغرى، ونجاح الأسرة الكبرى مرهون بنجاح الأسرة الصغرى، فمنها تتسع دائرة المثل، وتعبق أطياب الحب والمودة والتسامح.

انتي شذى عمري وانسي وسعدي
يا بسمة أيامي ونور الليالي
وانا بحور أشواق وانهار ودِّي
وأنا لقلبك منهل من زلال
يا مشغلتني بين جزرٍ ومدٍّ
وملوعتني بين هجر ووصالي
حنّي علي اللي زارعك غصن وردي
في مهجته بالحل والارتحالي

في غيبتك ينهد حيلي وجهدي
ويكاد حتى الصخر يرثي لحالي
واليا حضرتي خيم الأنس عندي
الروح نشوى والو نس شي خيالي
كل المعاني فيك عقل ورشدي
ورزانة تزري بشم الجبال
ويتيه قلبي بين ردف وقدي
ورموش فتاكة وغنج ودلالي
ودم خفيف ومنطق مثل شهد
وعذب تحدى في الحلا كل حالي
عندك تذوب الروح ويدوم سعدي
وأنسى هموم الأرض لو هي ثقالي
وأنسى تقاليدي وعرفي وحدي
وأقول عندك كل شي ما يقالي
وترقص لي الدنيا ولا أشوف قدي
وأسكر ولكنه بخمر حلالي
لا تصدقي مني خصامي وصدي
وان قلت لك غيبي تراها تعالي
أنتي فضاءاتي وطموحي ومجدي
وأنتي الغنى حتى لو الجيب خالي

obeikandl.com

الخاتمة

إن الزواج في الإسلام له مقاصد عظيمة، وحكم جليلة، فهو فطرة إنسانية وآية ربانية، وبه تُعمر الحياة، وتُقام الدنيا، وتحفظ البشرية، وتتكاثر الأمم، وتتمازج الأرواح، وتتواصل النفوس، وتتعارف البشرية، وتبنى المجتمعات، وتزكو النفوس، وتحفظ الأخلاق، وتوطد الفضائل، وتحارب الرذائل، وتهدأ الأفكار، وتسكن الضمائر، وتسمو الصفات الجميلة، وتنمو السمات الجليلة، من الحب، والرحمة، والود، والتعاطف، والتآخي، والتعاون، والتسامح، والتغافر، والتواصل.

إنه النواة لقيام البيت المسلم، وبناء الأسرة المؤمنة، التي ستكون لبنة في بناء المجتمع الإسلامي الكبير، فما هو المجتمع المسلم إلا مجموعة الأسر والبيوت المسلمة، فإذا تكاثرت تلك الأسر، وحسن قيامها، وجمل نظامها، وعذب انسجامها؛ طابت آثارها على المجتمع، وزكت ثمارها في الأمة.

وإنني قد بذلت جهدي، ونثرت كثيراً مما في كنانتي، ونقشت أسطراً من تجاربي، وكتبت أحرفاً من سويداء قلبي في هذا الكتاب. ولقد من الله علىّ بتأليف كثير من الكتب وجدت قبولاً واسعاً والحمد لله، ولكن صدقوني إن هذه الرسالة كانت ذات مكانة خاصة في نفسي، وأشعر أنها مرآة تعكس بصدق ما يجيش به صدري، ويختلج به وجداني، وتفيض به روحي،

من حب وصدق وحرص على البيوت المسلمة، ومن طمع في إدخال السرور إليها، ونثر ورود الحب عليها، وما ذلك إلا لما عايشته ورأيته من أحوال الناس، وأخبار البيوت، وقصص الأسر، مما يتطلب من كل محب للخير، غيور على الأمة، أن يبذل كل ما فيه وسعه للمحافظة على المجتمع المسلم وتماسكه، وإنارة طريقه بكل ما ينفعه ويمتعه ويرفعه.

إن استقرار الأسرة وطمأنينتها وتحابها وتآلفها يثمر استقرار الأمة جمعاء ورقيها وازدهارها، ومتى ما تفككت الأسر، وتهدمت البيوت، وضاعت المثل، وجفت ينابيع الحب، ونضبت أنهار الود، واتسعت دروب الخلاف، وكثرت بذور الشقاق، فهو الحسرة والندامة، والضعف والهوان، والخيبة والخسران للأمة بأكملها.

إن في هذه الرسالة على إيجازها أسساً عظيمة، ومثلاً كريمة، ودرراً مضيئة، تنثر الحب، والرضا، والأنس، والمنى، والهدوء، والاستقرار لكل من أخذ بها، وأفاد منها، ومضى على نهجها، فهي قبس من نور الوحي، ومدد من فيض الحق، وعبق من شذى النبوة، جاءت ثمرة لتجربة، وخلاصة لمعايشة، مزجتها بروحي، ورويتها بدمي، وسقيتها شهد مشاعري وخواطري، أسهمت بها في الأفراح، لتسلو بها الأرواح، وما أردت إلا الإصلاح، فاقبلوها من قلب محب، وفؤاد مشفق، وضمير عطوف، ومشاعر صادقة. زادكم الله أفراحاً، وعمر

قلوبكم صلاحاً، وأقر أعينكم بأزواجكم وذرياتكم، وجعلكم من أئمة المتقين، وثلة المؤمنين، وخيار الصالحين. آمين، آمين، آمين.

هذه معزوفة الحب التي
بثها قلبي لأغلى الأصفياءِ
أحرف من فيض روحي صوتها
يبعث الرضوان في أسمى لقاءِ
إنها لحن الأماني والمنى
وعبير الود يسري في دمائي
في ثناياها دروس للهوى
وفنون للتسامي والوفاءِ
تسعد الخلان تجري سلسلاً
للرضا والعيش في ظل الصفاءِ
بارك الله عليكم ولكم
وحباكم من أفانين العطاءِ
وأدام الأنس والبشرى لكم
يا شذا عمري وبستان انتشائي
فرحةُ المسلم أغلى فرحةٍ
لفؤادي وهي أنسي وهنائي
فانعموا بالوصل والحب الذي
فيه للأرواح أسرار الشفاءِ
فيه برد وسلام ورضاً
فيه سلوانٌ وآماد ضياءِ

فـــيـــه بنيـــانٌ لبـــيتٍ مـــسلم

يعـمـر الدنيـا على وحي السـمـاءِ

ولكم شـــوقي وحـــبي زاكـــيـــاً

ولكم فـــيض احـــتـــرامي ودعـــائي

obeikandl.com